M/909.175
12/173

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم التاريخ و الآثار

قسم التاريخ و الآثار
تخصص: تاريخ عام

جامعة 08 ماي 1945 قالمة
قسم التاريخ والآثار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام

بعنوان:

العثمانيون في أوج القوة و التوسع في أوربا خلال الفترة 1451م– 1566م

لجنة المناقشة:

- مشرفاً و مقرراً
- رئيسًا
- عضواً مناقشاً

إعداد الطالبة:
– بن أوغيدن عائشة

تحت إشراف الأستاذة:
– بوجويجة سعاد

السنة الجامعية:
2012/ 2011

بسم الله الرحمان الرحيم

"اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت و باليأس إذا

أخفقت، اللهم إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي

و إذا أعطيتني تواضعي فلا تأخذ اعتزازي بنفسي."

أمين

شكر و تقدير

أتقدم بالشكر الكبير إلى كل من ساعدني على انجاز

هذا العمل، و أخص بالذكر الأستاذة: **"بوجويجة سعاد"**

التي أقدم لها كل معاني الاحترام و التقدير، نظير ما

أجادت به من توجيهات قيمة و مساعدة مفيدة.

مقـــدمـــة

المقدمة:

إن دراسة التاريخ العثماني كان ومازال و سيبقى من الدراسات المهمة لاسيما لدى الباحثين في هذا المجال، و من هذا المنطلق كان حرصنا على ولوج هذا التاريخ من خلال التعرض إلى موضوع "**العثمانيون في أوج القوة والتوسع في أوربا خلال الفترة 1451م-1566م**"، و الذي نتطرق فيه إلى عهد أربعة سلاطين بدءا بالسلطان محمد الثاني ، فالسلطان بايزيد الثاني و يليه السلطان سليم الأول و أخيرا السلطان سليمان القانوني، والحديث عن تلك الانجازات العظيمة التي قام بها هؤلاء السلاطين سواء بصورة مباشرة في التأثير على أوربا، أو بصفة غير مباشرة من خلال المواقف التي دعمت الوجود العثماني بأوربا.

تعود دوافع اختيارنا لهذا الموضوع انه احد المحطات الكبرى في التاريخ العثماني ومما يعني بكل تأكيد احد صفحات التاريخ الإسلامي المشرقة التي شرفت العالم الإسلامي ككل ، فبلغت الدولة العثمانية في هذه الفترة مبلغا عظيما و وصلت إلى أقصى اتساع لها بأوربا . و من أسباب اختيار هذا الموضوع الأخرى نذكر اهتمامنا بهذه الفترة التي لم تركز عليها الدراسات كثيرا بل تحدثت عنها في سياق الحديث عن تاريخ الدولة العثمانية إجمالا ، كما إن الدولة العثمانية حققت ما لم تحققه أي دولة إسلامية من قبل لذلك فهي تستحق هذا القدر من الاهتمام.

من خلال تتبعنا لمجريات الأحداث ارتأينا طرح الإشكاليات التالية والتي كان على رأسها ما هي العوامل و الظروف التي مكنت الدولة العثمانية من التوسع هذا القدر بأوربا.؟ أما التساؤل الثاني فهو كيف فتحت القسطنطينية.؟ وعلى يد من تم هذا الفتح.؟ وهل لهذا الفتح تأثير على العالمين الإسلامي و المسيحي.؟ أما الإشكال الثالث لماذا خمدت شعلة الفتوح عهد السلطانين بايزيد الثاني و ابنه سليم الأول.؟ و لماذا عادت هذه الفتوح عهد السلطان سليمان القانوني.؟ والتساؤل الأخير ما هي نتائج هذا الفتح.؟ وما مدى نجاح الدولة العثمانية على نشر الإسلام ففي أوربا.؟

من اجل الإجابة على هذه التساؤلات و أخرى اتبعنا خطة مكونة من تمهيد و أربعة فصول، حاولنا خلالها إعطاء اكبر قدر من الأجوبة و التوضيحات.

فيما يخص **التمهيد** كان عبارة عن مدخل للحديث عن بدايات الفتوح الإسلامية من خلال إلقاء نظرة تاريخية سريعة على الفتوح عهد الرسول(ص)، و خلفاءه الراشدين، عبورا بالخلافة الأموية وصولا إلى الخلافة العباسية التي توقفت الفتوح عهدها،إذ تحدثنا عن أسباب هذا التوقف و الفتور في الفتوح.

أما الفصل الأول فكان تحت عنوان **ظروف و عوامل التوسع العثماني في أوربا**، تطرقنا من خلاله إلى مواطن قوة الدولة العثمانية و عوامل نشأتها نظرا للقوة التي كانت يتمتع بها العثمانيون في هذه الفترة، كما تحدثنا عن العوامل التي ساعدتهم على التوسع في أوربا ، فكما نذكر أن المسلمين لم يتمكنوا من ولوج أوربا الشرقية قبلا رغم المحاولات العديدة، حيث نجد أن الدولة العثمانية اختصت بعوامل دون غيرها مكنتها من دخول أوربا، كما القينا نظرة على خصائص التوسع العثماني في أوربا.

في حين كان الفصل الثاني بعنوان **التوسع العثماني في أوربا خلال الفترة 1451م-1512م**، ففي هذه الفترة تحدثنا عن عهد السلطانين محمد الثاني و ابنه بايزيد الثاني، أين تحدثنا عن استعدادات السلطان محمد الثاني من اجل فتح القسطنطينية سنة1453م، و مجريات أحداث الفتح من الحصار إلى الهجوم و أخيرا دخول العاصمة البيزنطية، حيث كان لهذا الفتح أثار عميقة على الجانبين الإسلامي و المسيحي، لكن السلطان محمد الثاني لم يتوقف عند هذا الحد بل دخل أوربا فاتحا فدخل بلاد المروة، الأفلاق و البغدان، البوسنة و الهرسك، ألبانيا وأخيرا جنوب ايطاليا. فكانت عملية التوسع عهد محمد الثاني في أوجها عكس ما حدث عند تولي ابنه بايزيد الثاني الحكم الذي كان مسالما فلم تتغير حدود دولته الأوربية كثيرا، ولكن هذا لا يمنع انه قام بانجازات مهمة على رأسها بدأه علاقات دبلوماسية مع الدول الأوربية كما حافظ على كيان الدولة العثمانية.

أما الفصل الثالث فجاء تحت عنوان **التوسع العثماني في أوربا خلال الفترة 1512م-1566م**، وكان ذلك عهد السلطان سليم الأول و ابنه السلطان سليمان القانوني كما سنلحظ أن

عهد سليم الأول عرف ركود في التوسع على حساب أوربا إذ يعود السبب إلى الصراع في الشرق مع الصفويين في إيران و المماليك في مصر، حيث ارتأينا الحديث عن عصره لما مثله من تقوية أركان الدولة العثمانية سواء مادية أو بشرية بعد اكتسابهم للقب الخليفة بعد دخول مصر، هذا ما جمع المسلمين و وحدهم حول السلاطين العثمانيين. ورغم توقف الفتوح إلا أنها عادت و بقوة عهد السلطان سليمان القانوني فدان له كل ملوك أوربا،حيث تمكن هذا السلطان الشاب من وضع حد لأطماع البنادقة في المنطقة كما فتح جزيرة رودس واخضع المجر نهائيا بعد مد و جزر في الحروب بين الطرفين، الأمر الذي دفعه إلى التقارب مع ملك فرنسا فرانسوا الأول من اجل التحالف ضد الإمبراطور شارل الخامس الذي كان يهدد العثمانيين في المنطقة.

أخيرا الفصل الرابع انطوى تحت عنوان **نتائج الفتوح العثمانية في أوربا و انعكاساتها على الأوربيين**، و تطرقنا من خلاله إلى النتائج المترتبة عن التوسع العثماني في أوربا و كذا سياسة الدولة العثمانية اتجاه ولاياتها المسيحية،وكيف عاملتهم فنجد أن العثمانيين لم يضطهدوا رعاياهم في البلاد المفتوحة ،كما تطرقنا إلى مدى نجاحهم في نشر الإسلام بالمنطقة و الأساليب التي اتبعوها من اجل إدخال اكبر عدد ممكن من رعاياهم المسيح في الإسلام.

لنتوصل في الأخير إلى جملة من الاستنتاجات أوردناها ضمن **الخاتمة** التي كانت عبارة عن حوصلة للموضوع. و كان لابد من تطعيم الموضوع بجملة من **الملاحق** وجدناها ضرورية من اجل توضيح الموضوع، فكانت هذه الملاحق عبارة عن عدة خرائط التي تمثل التوسع العثماني بأوربا من خلال مختلف مراحله.

أما عن المنهج المتبع فهو المنهج الوصفي التحليلي و ذلك تبعا لطبيعة الموضوع الذي يتطلب هذا النوع من المناهج، ومن اجل دراسة الموضوع دراسة تاريخية موضوعية كان لابد من الاعتماد على جملة من المصادر و المراجع التي تباينت من حيث الأهمية وهذا طبعا حسب متطلبات الموضوع، و من المصادر التي اعتمدنا عليها نذكر"**الفتح الإسلامي للقسطنطينية: يوميات الحصار العثماني1453م**"لصاحبه **نيقولا باربارو**، و تكمن أهمية هذا

المصدر أن مؤلفه عايش أحداث فتح القسطنطينية، كان يعمل طبيبا داخل أسوارها و رغم تحامله على المسلمين إلا انه حمل إلينا صورة حية عن الحصار و الفتح من خلال تزويدنا بالمعطيات و الإحصائيات و مجريات الأحداث.و من المصادر المعتمدة كذلك **"تاريخ الدولة العلية العثمانية"**لمؤلفه **محمد فريد بك المحامي** الذي نقل لنا هو الأخر مجريات الأحداث بتفاصيلها الصغيرة بنوع من التمحيص و التدقيق، لذلك كان اعتمادنا عليه مفيد.

كما هناك مراجع لا تقل أهمية من حيث ثراها بالمادة التاريخية فنذكر منها مرجع **"الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي"** للمؤلف **إسماعيل احمد ياغي** الذي ركز على مختلف جوانب الدولة العثمانية و التي نقلها إلينا بصورة منظمة و دقيقة مما سهل التعامل مع محتوى الكتاب، فقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا في الحديث عن العوامل التي ساعدت العثمانيين و كذا خصائص التوسع العثماني.و من المراجع التي أفادتنا كذلك **"التاريخ الإسلامي، العهد العثماني،ج8"** للمؤلف **محمود شاكر** الذي أورد تاريخ الدولة العثمانية في كل شاردة و واردة و الذي دافع عن الدولة العثمانية ضد الحملات التشهيرية المغرضة لذلك كان الاعتماد عليه مهما.

من اجل تقديم هذا البحث في أحسن صورة استلزم منا الكثير من الوقت و الجهد و كذلك الضغوطات الناجمة عن الصعوبات التي واجهتنا من بينها قلة المصادر و المراجع الخاصة بالموضوع في مكتبة الكلية حيث لم نحصل إلا على خمسة عشر كتاب منها، هذا ما دفعنا إلى البحث عن الكتب في مصادر أخرى و بتوفيق من الله تمكنا من الحصول على قدر مهم من المصادر و المراجع . كما واجهتنا مشكلة أخرى والمتمثلة في صعوبة ضبط محتوى البحث كونه أول عمل نقدمه على هذا المستوي الذي نرجو أن نقدمه في شكله الجيد.

أخيرا نشكر كل من قدم لنا يد العون من اجل انجاز البحث من الموظفين في المكتبة و الزملاء الكرام الذين لم يبخلوا عن تقديم ما لديهم من معلومات و نصائح كما نقدم الشكر إلى الأساتذة الموقرين و على رأسهم **الدكتور بورغدة رمضان** الذي قدم المساعدة لنا. و ارجوا من الله أن يوفقنا إلى ما يرضاه و ينير دربنا في السعي إلى تحقيق أمالنا.

تمهيد

تمهيـد:

قبل التطرق للحديث عن الفتوح العظيمة التي قام بها العثمانيون في أوربا لا بد أولا أن نلقي نظرة سريعة على تاريخ الفتوح الإسلامية ، من عهد الرسول صلى الله عليه و سلم إلى عهد الدولة العباسية والتي توقفت في عهدها هذه الفتوح .

يعرف المطلعون على التاريخ الإسلامي أن الفتوح الإسلامية لم تكن سلسلة متصلة الحلقات من الحروب. و إنما اتخذت هيئة وثبات سريعة و التي كانت عقب دخول كل عنصر جديد في الإسلام ، فلا تكاد الدعوة الإسلامية تنتشر في قطر حتى يستجيبون لنداء الإسلام ، و يتجهون للغزو و الفتح.[1]

كان فتح مكة أول الفتوح و أعظمها على الإطلاق ، و لقد كان ذلك على يد الرسول (ص) سنة 10 هـ ، و بفتحها فتحت الطريق إلى شرق الجزيرة و جنوبها الشرقي ، و اتجه الرسول (ص) و أصحابه الكرام إلى إخضاع شمال شبه الجزيرة و الوصول بالفتوحات إلى أقصى حدود القبائل العربية حيث استمر الفتح حتى شمل الإسلام كل جزيرة العرب و بدأ يمتد خارجها.[2]

بعد وفاة الرسول (ص) جاء عهد الخلفاء الراشدين الذين ساروا على نهجه في فتح البلدان و نشر الإسلام. و كان أولهم أبو بكر الصديق الذي تولى الخلافة ، و اتجهت فتوحه نحو بلاد الفرس الذي أرسل إليها خالد بن الوليد إذ اقتطع العراق سنة 13 هـ ، كما أرسل جيوشه إلى بلاد الشام لكن فتح الشام جاء متأخراً إلا أن أبو بكر توفي سنة 13 هـ.[3]

بعد وفاة أبا بكر الصديق خلفه عمر بن الخطاب ، الذي توجه إلى فتح مصر ، فأرسل عمرو بن العاص لإتمام المهمة و التي فتحها بعد ضعف الروم بسبب وفاة هرقل سنة 20 هـ 641 م و قيام المنازعات في القسطنطينية من أجل العرش . و تم الفتح سنة 21 هـ ، ثم توجه بعد فتحها نحو برقة و إفريقية. و تمكن من فتح برقة و طرابلس بحلول سنة 23 هـ ، و فتح إفريقية بعد ذلك و بهذا اتسعت الفتوح في عهد عمر بن الخطاب لتشمل الشام ، العراق ، فارس و مصر.[4]

---

(1) : د.حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط2، مطبعة حجازي، القاهرة، 1998، ص 15.
(2) : د. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 106.
(3): الشيخ محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ج1، ط4، مطبعة الاستقامة، مصر، 1354هـ، ص 185، 191.
(4) : السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ط) ص 220، 221.

تولى عثمان بن عفان الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب، ليتم في عهده فتح كامل بلاد الفرس و أرمينيا و سبيطلة قرب قرطاجة و جنوب مصر . لتنقطع الفتوح بعد وفاة عثمان و تولي علي بن أبي طالب أمر الخلافة لأنه انشغل بمحاربة الخوارج و الصراع مع معاوية بن أبي سفيان على الحكم ، و بوفاة علي بن أبي طالب سنة 40هـ ينتهي عهد الخلفاء الراشدين لتقوم بعد ذلك الخلافة الأموية.[1]

لم تكن حدود دولة الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ثابتة بل كانت هناك منازعات على الحدود مع الكفار ،و هذا سبب امتداد الفتوح عهد الدولة الأموية لتأمين الحدود و كذلك من أجل نشر الإسلام فكانت هناك ثلاث جبهات للجهاد.الميدان الأول هو الحرب ضد الروم في آسيا الصغرى و امتدت الحرب فيه إلى القسطنطينية و غزو بعض جزر البحر الأبيض المتوسط .

و الميدان الثاني شمال إفريقيا وصولا إلى المحيط الأطلسي مرورا بمضيق جبل طارق وصولا إلى إسبانيا [2] .

أما الميدان الأخير هو العراق و لقد برز الحجاج أمير العراق في هذا الميدان و تمكن من ضم بعض أجزاء اسيا وصولا إلى السند سنة 93هـ على يد قتيبة بن مسلم[3].

بعد اضمحلال الخلافة الأموية و سقوطها ، قامت على أنقاضها الخلافة العباسية ، و ما يلاحظ في عهد هذه الخلافة أنها لم توسع كثيرا من بلاد الإسلام، فكانت الفتوح ضئيلة نذكر منها فتح المعمورية سنة 223 هـ على يد الخليفة المعتصم، كما فتحت جزر في بحر المتوسط منها كريت و صقلية كما تمكن المسلمون من فتح جنوب إيطاليا.[4] لكن الفتوحات توقفت في عهد العباسيين ، و يعود ذلك إلى عدة أسباب:

- اتساع رقعة الدولة الإسلامية مما استلزم جهد كبير للسيطرة عليها و تأمين حدودها.
- عدم اهتمام العباسيين بإنشاء أسطول بحري قوي مواكبة مع التطورات في تلك الفترة حيث كان الاسطول البحري يمثل قوة الدولة

---

[1] : محمد عبد الله و آخرون ، مختصر التاريخ الإسلامي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، (د.ط)، عمان ، 1989 ، ص 27 ،34

[2] : د. احمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية (الدولة الأموية) ،ج2، ط7 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،1984 ،ص109،110.

[3] : د. مصطفى ابو ضيف أحمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ط4، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986، ص 388.

[4] : محمد عبد الله و آخرون ، المرجع السابق، ص 98 .

- مناوئة أهل الشام للعباسيين بسب ولائهم للأمويين .

- كثرت الحركات الداخلية الانفصالية خاصة في المغرب، و انشغال العباسيين بمقاومة هذه الدويلات المستقلة متوقفين بذلك نهائيا عن الفتح الإسلامي .

- انشغال المسلمون بالحروب الصليبية التي بدأت سنة 1096 م إلى غاية 1291 م و هذا ما فكك الوحدة الإسلامية.[1]

يمكن القول أن الفتوح الإسلامية و التي كانت مزدهرة في عهدها الأول عرفت نوعا من الفتور ،بسبب حياد المسلمين و لو نسبيا عن الجهاد و توجههم الى ملذات الحياة فخمدت بذلك الفتوح في فترة ما ، لتعود بقوة فيما بعد عهد العثمانيين.

[1] : محمد عبد الله و آخرون ، المرجع السابق، ص 97 .

الفصل الأول:ظروف و عوامل التوسع العثماني في أوربا

المبحث الأول: مواطن قوة الدولة العثمانية و عوامل نشأتها.

المبحث الثاني: العوامل التي ساعدت العثمانيين على التوسع.

المبحث الثالث: خصائص التوسع العثماني في أوربا.

المبحث الأول: مواطن قوة الدولة العثمانية و عوامل نشأتها:

دخل الأتراك العثمانيون آسيا الصغرى في القرن 13 م ، كقبيلة من القبائل التركية التي كانت تنزح من الإستبس إلى آسيا متجهة غربا نحو الأناضول ، حيث كان أرطغل يرأس إحدى هذه القبائل و كان موظفا من قبل الدولة السلجوقية لحماية حدودها من ناحية الأناضول ،فبدأ بمهاجمة أملاك الدولة البيزنطية في الأناضول باسم السلطان علاء الدين الأول السلجوقي ،وعند وفاة أرطغل سنة 1288 م خلفه ابنه عثمان الذي اعتنق الدين الإسلامي و تبعه الأتراك العثمانيون ، و لقد أظهر هذا الأمير القدرة على وضع النظم الإدارية ، لتتحول إمارته من نظام القبيلة إلى نظام إدارة مستقر لتتطور سريعا إلى دولة كبرى و غدت من أكبر الدول الإسلامية[1] ،و هذا التحول ليس من عدم بل نابع من نقاط قوة اختصت بها الدولة العثمانية دون غيرها و نذكر منها:

1- قوة شخصية السلاطين العثمانيين:

تميزت شخصية السلاطين العثمانيين الأوائل بمواصفات و خصائص فريدة ، منها القدرة على التخطيط العسكري ، فقد كانوا يقودون الجيوش في مختلف المعارك التي كانت تخوضها الدولة العثمانية ضد الدول الأوربية و هذا الأمر كانت له انعكاسات ايجابية على المقاتلين[2] .

كما حرص السلاطين على بناء دولتهم على أسس إسلامية منذ البداية و من مظاهر هذا الحرص:

- وصية الأمير عثمان لابنه أور خان الذي أمره بإتباع الشرع و التشاور مع الشيوخ ، و توقير العلماء و تقدير الناس ، و أمره بالجهاد في سبيل الله.

- عندما صك أور خان العملة كتب على أحد وجهيها " لا إله إلا الله محمد رسول الله " تحيط بها أسماء الخلفاء الراشدين و الوجه الآخر اسم أور خان.

---

(1) : أشرف صالح محمد السيد، أصول التاريخ الأوربي الحديث،(د.ط)، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2009، ص 55.

(2) : د. الغالي العربي، دراسات في تاريخ الدولة العربية و المشرق العربي 1288- 1916، (د.ط)، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص27.

- التخلق بالأخلاق الإسلامية، فكان لسياستهم العادلة و تسامحهم الديني أبعد الأثر في إقبال النصارى على الدخول في الإسلام[1].

حيث أن العثمانيون اعتنقوا الدين الإسلامي حديثا، مما كون لديهم ذلك الشعور الديني القوي للجهاد في سبيل الله و توسيع رقعة الإسلام فألتف الشعب حول سلطانهم مما زاد من قوتهم الذين كونوا أعظم دولة في ذلك العصر.

2- الجيش:

أسس الجيش عهد أور خان الذي حرص على إدخال نظام خاص للجيش فقسمه إلى وحدات و خصص خمس الغنائم للإنفاق منها على الجيش، وجعله دائم بعد أن كان يجتمع فقط وقت الحرب و أنشأ مراكز خاصة يتم تدريبه فيها، كما أضاف جيشا آخر عرف بالإنكشارية[2]،و معناها العساكر الجديدة وكانت بداية وجودهم الفعلي عصر مراد الأول سنة 1366 م ، و قد اكتمل هذا الوجاق و أكمل ترتيبه عهد السلطان بايزيد الأول 1389 م[3].

كان العثمانيون عندما يفتحون بلادا مسيحية يأخذون الأطفال و يعنقوهم الإسلام و يلحقوهم بالجيش. و كانوا يختارون من بين ذوي البنية الجسدية القوية فيرسلوهم لمعسكرات خاصة للتدريب بعد بلوغهم عشر سنوات.[4]

الجيش الإنكشاري كان أول الأمر الحرس السلطاني الخاص يرافقه أينما سار و سافر، لكن عندما زاد عددهم قسم إلى جزئين، جزء يرابط في مكان إقامة السلطان ، في حين وزعت غالبيتهم على حاميات الأقاليم تحت إمرة الولاة، و لقد اهتم السلاطين الأوائل بحصر نشاط الإنكشارية و انتباههم في واجباتهم الأصلية و قيادة الحملات العسكرية.[5] و لقد شكلت فرقة الإنكشارية قوة ضاربة في الجيش العثماني و عماده، حيث كان مجرد سماع الأعداء بقدوم الإنكشارية نحوهم كفيل في نشر الرعب في صفوفهم و زعزعتهم مما يسهل للإنكشارية القضاء عليهم.[6]

---

(1) : د.محمد عبد اللطيف هريري، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا، ط1، دار الصحوة ، القاهرة، 1987، ص18.

(2) : د.علي محمد الصلابي، السلطان محمد الفاتح و عوامل النهوض في عصره،(د.ط)، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001.

(3) : المؤلف مجهول، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، المكتبة العمومية، بيروت، 1887، ص 53.

(4) : د.ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية،ط1، دار الحامد، عمان،2008، ص 67.

(5) : السير هاملتون جيب، هارولدبوين، المجتمع الإسلامي و الغرب، ج1، ت: عبد المجيد حسين القيسي، ط1، دار المدى، بيروت، 1997، ص 107.

(6) : د. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.س.ط)، ص 138.

كما عرّف محمد الفاتح باهتمامه بجانب قوة الجيش و تفوقه العددي بإنشاءات عسكرية عديدة، فأقام دور للصناعة العسكرية،لصناعة الدروع و الذخيرة و السلاح و إقامة الحصون و القلاع في المواقع ذات الأهمية العسكرية . وكانت هناك تشكيلات متنوعة في تمام الدقة و التنظيم كما تم تخرج دفعات من المهندسين و الأطباء و علماء الطبيعيات و كل ما له علاقة بالميدان العسكري.[1]

3- الأسطول:

سنة 1317م فتح أورخان القائد العثماني "بورصة" و التي اتخذها عاصمة له، و بهذا أصبحت العاصمة العثمانية عاصمة بحرية لأنها تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لبحر مرمرة و امتدت سواحل السلطنة العثمانية سنة 1326 م من سواحل بحر مرمرة إلى سواحل البحر الأسود و لذلك كان لا بد من وجود أسطول قوي، و الذي كان بداية الأمر مشكل من السفن البيزنطية التي استولى عليها العثمانيين.[2]

إذ يعد محمد الفاتح المؤسس الحقيقي للأسطول أين زادت عنايته به خاصة بعد فتح القسطنطينية، و انتصر الأسطول في العديد من المعارك البحرية التي قادها ضد البنادقة.[3]

كما نمت البحرية نموا كبيرا أيام بايزيد الثاني و أصبح الأسطول مسؤول عن حماية حوض البحر الأبيض المتوسط و اتسع النطاق ليشمل البحر الأحمر بعد طرد العثمانيون البرتغال من المنطقة[4].

بلغ الأسطول ذروته عهد سليمان القانوني الذي شكل أسطولا مكون من ثلاثمائة سفينة حربية واربعمئة سفينة حاملة يمكن أن تحمل عشرة آلاف جندي. كما أنشأت الدولة ترسانات بحرية في عدد من مدن السواحل على البحر الأبيض مرمرة، ايجة، البحر الأسود و لقد لعب الأسطول دورا مبهرا في الانتصارات العثمانية، ووضعت في القرن السادس عشر خرائط بحرية مميزة.[5]

---

(1) : محمد خير فلاحة،الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد،النشر الكتروني ، 2005، ص30.
(2) : د.محمد السيد الدغيم، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1994، ص 13.
(3) : د.عبد الرحيم عبد الرحمان، موسوعة التاريخ الحديث و المعاصر، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، ص88.
(4) : د.حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص359.
(5) : د.عبد الرحيم عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 89.

المبحث الثاني: العوامل التي ساعدت العثمانيين على التوسع:

اتجه العثمانيون نحو أوربا في وقت مبكر عقب نشأة إمارتهم في الشمال الغربي للأناضول، و هذا ما هيأ لهم أسباب القوة و زيادة في تعدادهم و مواردهم، وساعدهم على توسيع رقعة إمارتهم و النهوض بها مرحليا إلى دولة فإمبراطورية شاسعة الأرجاء امتدت ممتلكاتها في أوربا و آسيا و إفريقيا.[1]

كان لهذا التوسع السريع للعثمانيين خاصة على الجبهة الأوربية جملة من العوامل التي ساعدتهم على التوسع، و يمكن تقسيم هذه العوامل إلى قسمين: عوامل ذاتية خاصة بالدولة العثمانية، و عوامل خاصة بالدولة البيزنطية و باقي الدول الأوربية أي عوامل خارجية

1- العوامل الذاتية (العوامل الداخلية):

- إن العثمانيين الأوائل وجدوا جميع الإمكانيات المادية و المعنوية لفتح الأراضي البيزنطية في الأناضول ولقد توفرت هذه الإمكانيات في العناصر التركية العثمانية فقد كانت هذه العناصر تتدفق على غرب الأناضول منذ النصف الثاني من القرن 13 م بينما أخذت الإمارات الساحلية التركية في الضعف و الاضمحلال بسبب صراعها فيما بينها، و أخذ العثمانيون يمضون بخطى ثابتة في توسيع إمارتهم و مد حدودها، و لم يبدأ العالم المسيحي ينتبه إلى خطورة العثمانيين إلا بعد أن عبروا البحر و استولوا على غاليبولي.[2]

- كما كان للعامل الجغرافي أثر فعال في نمو الإمارة العثمانية و توسعها، فقد كانت الإمارات التي نشأت على الحدود أوفر حظا في عوامل النمو و التطور من الإمارات الداخلية، حيث نشأت الإمارة العثمانية في الجزء الشمالي الغربي لشبه جزيرة الأناضول على الحدود بين العالمين المسيحي و الإسلامي، فلقد فرض عليها هذا الموقع سياسة حربية معينة تمثلت في التوسع على حساب الأراضي المسيحية حفاظا على كيانها السياسي بين القوى المحيطة بها.[3]

- بما أن هذه الإمارة العثمانية كانت في صراع ضد البيزنطيين في الأناضول فقد رأت الإمارات السلجوقية إلى الحرب التي يخوضها العثمانيون ضد البيزنطيين على أنها جهاد

---

(1) : د. إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، ط2، مكتبة العبيكان،(د.م.ط)،1998، ص 20.
(2) : المرجع نفسه، ص 22.
(3) : د. الغالي غربي، المرجع السابق، ص 26.

ديني، فالتحق الكثير من المقاتلين السلجوقيين بالإمارة العثمانية الأمر الذي ساعد على الانتصار في الحروب و بالتالي أدى إلى توسع رقعة الإمارة العثمانية و زيادة مواردها.[1]

- سهلت عليهم طرقهم في الحرب إحراز النصر فهم ليسوا بحاجة لزمن طويل للاستعداد للهجوم ولذلك كان من الصعب على العدو تحديد الوقت الذي يقومون فيه بالهجوم و تحديد الجهة التي يهاجمونها، فلقد تعودوا على الإغارة و الرحيل و التخلص من الحمل الثقيل الذي يعوق عملية الكر و الفر، هذا الأسلوب القتالي اعتمده العثمانيون في بداية تشييد دولتهم، ليكونوا فيها بعد جيش نظامي قوي عرف بالإنكشارية [2]. الذي ذكرناه سابقا على أنه أحد مواطن قوة الدولة العثمانية.

- كما امتاز العثمانيون في المواجهة الحربية التي تمت بينهم و بين الشعوب البلقانية، بوحدة الصف والهدف و وحدة الذهب الديني السني، و الشعور الديني، بينما كانت جيوش الأعداء أشتاتا و أخلاطا يمزقها التباغض و التنافس، و اختلاف المذهب الديني فمنهم الكاثوليك و الأرثودكس الشرقيين و منهم البلغار و الصرب و اليونان و منهم سكان الأفلاق و البعدان و البوسنة و الهرسك و الجبل الأسود وألبانيا.[3]

تكاتفت هذه العوامل لتشكل إمارة قوية فدولة عظيمة يحسب لها ألف حساب بين القوى الأخرى و سرعت من نمو الدولة العثمانية في فترة وجيزة من قبيلة مترحلة إلى إمبراطورية مترامية الأطراف.

2- العوامل الخارجية:

أ- دخلت الدولة البيزنطية بعد سنة 1354 م مرحلة الاحتضار و الموت بعد مرحلة الانهيار والتدهور. وفي الوقت الذي انهارت فيه الدولة البيزنطية سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا، كان عليها توقع خطر الأتراك الذين ورثوا عقيدة الجهاد ضد بيزنطة، لتحقيق حلم المسلمين القديم منذ عصر صدر الإسلام وهو الاستيلاء على القسطنطينية.[4]

سارت أحوال بيزنطة من سيء إلى أسوأ إلى درجة أنها كانت مستعدة للخضوع إلى أية قوة سواء البندقية أو حكام الصرب أو ملك هنغاريا ، حيث كان السؤال المطروح هل ستسقط

---

(1) : د.إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص24.
(2) : د. الغالي غربي، المرجع السابق، ص 26.
(3) : د.إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص24.
(4) : د.حسين محمد ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، (د.ط)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص 302.

الإمبراطورية البيزنطية على يد الأتراك أو القوى المسيحية ؟ و بعد وفاة دسان ملك الصرب القوي لم تعد هناك أية قوة في البلقان يمكن أن تتصدى للأتراك .[1] و كان لانهيار الدولة البيزنطية جملة من الأسباب أهمها:

- كان الإمبراطور البيزنطي يمثل كل السلطة داخل الدولة، فهو الملك و رجل الدين الذي تخضع له الكنيسة، و يمتلك كل السلطات بيده، و لذلك كثرت الثورات ضد الدولة من بين أفراد العائلة الحاكمة من أجل السلطة. كما امتلأ البلاط البيزنطي بالأطماع و الدسائس و الأحقاد في ظل طبقة أرستقراطية مترفة تحيا حياة اللهو، و الشعب يعيش في الفقر المدقع.[2]
- استخدام الدولة البيزنطية للمرتزقة في جيشها أدى إلى ضعفها حيث منحهم الإمبراطور الأموال والأراضي و جعلها وراثية لأولاد هم من بعدهم، و هكذا كان الجيش البيزنطي يتكون من أجناس مختلفة يجمعها حب المال و الثراء و السلب و النهب و جمع الغنائم.[3]
- سخط الشعب البيزنطي على الدولة لكثرة ما فرضته من ضرائب على الشعب تفوق قدرته، حتى أن الشعب البيزنطي فضل العثمانيين على سلطان بابا روما لعدالة الضرائب و لعدالتهم في معاملتهم مع الشعب.[4]
- ضعف الأسطول بعدما كان مسيطرا على حوض البحر الأبيض المتوسط، و نظرا أن الحروب التي قامت بين الدولة البيزنطية و العباسيين كانت برية، فلذلك أهملت بيزنطة أسطولها البحري، ولم تعره انتباهها، حتى أن المسلمين تمكنوا من السيطرة على جزيرتي كريت و صقلية لضعف أسطولها.[5]
- نتيجة للأحوال الخارجية و الداخلية التي شاهدتها بيزنطة لعدم الاستقرار و انتشار الفوضى و القلاقل تعطلت تجارتها حيث كانت تمثل عماد نشاطها الاقتصادي و لذلك تراجعت حصيلة الرسوم الجمركية، و أصبحت الخزانة شبه خاوية، فاستغلت المدن التجارية الإيطالية الأحوال وسيطرت على النشاط التجاري، و ضغطت على الدولة

---

(1) : د.زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى،(د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة،(د.س.ط)، ص 161.
(2) : د.محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية و حضارتها، ،(د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص 32.
(3) : د.محمود السيد، الفتوحات الإسلامية ، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية،2007، ص156.
(4) : المرجع نفسه، ص 158.
(5) : د. محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية و حضارتها، المرجع السابق، ص 33.

البيزنطية للحصول على إعفاءات وامتيازات تجارية، و هذا ما اضطر الدولة للاستدانة و أدى بضرورة الحال إلى ضعفها.[1]

ب- إضافة إلى ضعف الدولة البيزنطية، فان علاقتها مع باقي الدول الأوربية سيئة، بل أكثر من ذلك فلقد وقعت حروب بين الدولة البيزنطية و الدول الأوربية على رأسها الصرب و البلغار وتمكنت هاتين الدولتين من بسط نفوذهما على كثير من أملاك الدولة البيزنطية في أوربا وأجبرت الإمبراطور البيزنطي على الاعتراف بتوسعاتهم على حساب دولته.[2]

إضافة إلى أن الحروب التي قامت بين الدولة البيزنطية و الدول الأوربية خلقت أزمة عدم ثقة فيما بينها وهذا ما أثر في وقوفها ضد المد العثماني على أوربا فكان هناك كثير من الأحيان عدم تنسيق للخطط السياسية و العسكرية للوقوف في وجه العثمانيين و هذا ما ساعد كثيرا الدولة العثمانية من تحقيق انتصاراتها فكانت تواجه كل دولة على حدى.

---

[1] : د. إبراهيم خميس ابراهيم، سهير إبراهيم نبيع، معالم التاريخ البيزنطي السياسي و الحضاري،(د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 20.

[2] : المرجع نفسه، ص 15.

المبحث الثالث: خصائص التوسع العثماني في أوربا:

كان الغزو العثماني العسكري لأوربا هو آخر غزو إسلامي لأوربا المسيحية في التاريخ الحديث والمعاصر، الذي بدأ في النصف الثاني من القرن 14م و بلغ ذروته القرنين 15 م و 16 م[1]، ولقد تميز هذا الفتح بجملة من الخصائص نذكر منها:

1- لم يكن العثمانيون يفتحون المدن عنوة، بل كانوا يتبعون طريقة الحصار زمنا طويلا، فهم ليسوا في حاجة لزمن طويل للاستعداد لهجومهم[2] ، و هذا ما كان يربك العدو و يضطره للاستسلام والرضوخ لمطلب العثمانيين فكان يفقدهم الحصار كل المؤونة و لم يعد باستطاعتهم المقاومة، و هذا الأسلوب العثماني له فوائده، فهو يعني أن الخسائر البشرية في صفوفهم تكون شبه منعدمة.

2- كما أن الغزو العثماني لوسط أوربا لم يكن في ظروف موانية، لأنه في الوقت الذي انطلق فيه العثمانيون غزاة فاتحين في قلب أوربا، و بخاصة في القرن 16 م، كانت الدول الأوربية في مجموعها تنعم باليقظة، كما كانت هذه الدول تركن إلى التكتل السياسي و التنظيم الاقتصادي، ورغم هذا وقفت الدول الأوربية من الغزو العثماني موقف المدافع عن كيانها، فانهارت مقاومة الأوربيين أمام الضغط العثماني الذين انتقلوا من نصر إلى آخر، و أصبح الغزو العسكري شغلهم الشاغل وتوغلوا في قلب القارة، وفتحوا جبهة بحرية في حوض المتوسط و انتزعوا أهم الجزر، رودس، كريتن وقبرص.[3]

3- كان جهاد العثمانيين مركزا على منطقة البلقان، بينما كانت أرغون و قشتالة بزعامة فرديناند و إيزابيلا يشنان حرب تصفية ضد الوجود الإسلامي بإسبانيا ، و عندما توالت الإستنجادات على السلطان العثماني بايزيد الثاني لم يفعل سوى إرسال أسطوله قبالة السواحل الإسبانية، دون أن يحول عن سقوط غرناطة، و هذا ما يوضح اهتمام العثمانيين بالجبهة الأوربية الشرقية دون الغربية و التي كانت في حاجة ماسة للنجدة العثمانية.[4]

4- تضافرت عدة عوامل ذاتية ساعدت العثمانيين على التوسع الإقليمي الواسع النطاق في مختلف الجبهات و كان منها: الشعور الديني المتأجج، كفاية القوات العثمانية و الموارد

---

(1) : د.إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 17.
(2) : محمد عبد الله عودة و آخرون، المرجع السابق، ص 155.
(3) : د. إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 17.
(4) : د.عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 61.

المالية، و هذا كان حافزا في الاستبسال في القتال، فحققوا بفضل هذا الشعور العديد من الانتصارات، كما ساعدت الموارد المالية السلاطين على بناء قوات مسلحة برية و بحرية على درجة عالية من الكفاية و التسليح، فقد كان في استطاعة السلطان أن يجمع الأموال من الولايات العثمانية في يسر و سرعة و أن يستخدمها في مساعدة القوات الضاربة.[1]

5- أخفق العثمانيون في عثمنة أو تتريك الشعوب الأوربية التي دانت لحكمهم، فقد تقوقع العثمانيون اجتماعيا و لم يحدث انصهار أو امتزاج بينهم و بين الشعوب المحكومة، و لم يسهموا بنشاط يذكر في الحياة الاقتصادية من زراعة أو صناعة أو تجارة في البلاد، و اكتفوا بإقامة طبقة حاكمة، وكان الاستعلاء صفة بارزة في العثمانيين مما منع الاختلاط بينهم، فظلت تلك الشعوب محافظة على لغتها وثقافتها و ديانتها و عاداتها وتقاليدها، و من هنا كان الأثر العثماني الحضاري في البلاد الأوربية ضعيف.[2]

يمكن القول أن العثمانيون تمكنوا من إخضاع الدول الأوربية و السيطرة عليها، لكن دون أن يحدث ذلك الامتزاج الطبيعي بين العنصرين. رغم أن التواجد العثماني فاق 150 سنة في بعض البلدان الأوربية .

---

[1] : د. إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 18.

[2] : المرجع نفسه، ص 18.

الفصل الثاني: التوسع العثماني في أوربا خلال الفترة 1451م – 1512م:

المبحث الأول: السلطان محمد الثاني 1451 م– 1481م و استعداده لفتح القسطنطينية.

المبحث الثاني: فتح القسطنطينية سنة 1453م.

المبحث الثالث: جهود محمد الفاتح الحربية في أوربا بعد فتح القسطنطينية.

المبحث الرابع: السلطان بايزيد الثاني و توقف التوسع في عهده 1481 م– 1512م.

المبحث الأول:السلطان محمد الثاني 1451م – 1481 م و استعداده لفتح القسطنطينية:

عندما تولى السلطان محمد الثاني الحكم و هو سابع السلاطين العثمانيين، كان قد مر 100 سنة على عبور العثمانيين إلى الضفة الأوربية،و ذلك من خلال عبور مضيق الدردنيل من آسيا وصولا إلى شبه جزيرة غاليبولي * و كان قد مر أكثر من 50سنة منذ أن حاول السلطان بايزيد الأول- سيد البلقان- فتح عاصمة الإمبراطورية البيزنطية[1].

تولى السلطان محمد الثاني الحكم سنة 1451م، و كان يبلغ 22 سنة ، استهل حكمه بقتل أخيه الرضيع أحمد حتى لا ينافسه أحد في الحكم[2]، حيث اقترن اسمه بحادث هام في التاريخ و هو فتح القسطنطينية و لهذا اتصف بالفاتح، و لهذا السبب تبوأ مكانا بارزا و رفيعا بين السلاطين العثمانيين، فقد امتاز بالدبلوماسية الواعية المتيقظة و الذكية وأطماع واسعة وشجاعة في الحروب، تعمق في دراسة الجغرافيا و التاريخ و العلوم العسكرية، كان يتكلم ثلاث لغات العربية، اليونانية، الفارسية إضافة للتركية، كما اهتم ببناء المساجد والمنشآت الخيرية و استقدم لهذا خيرة الفنانين الإيطاليين و اليونانيين و لقد عهد محمد الثاني منذ أيامه الأولى لحكمه حسم مشكلة القسطنطينية بالاستيلاء عليها، فقد كانت تتخذ وكرا للمؤامرات التي تدبر ضده.[3]

1- الإعداد لفتح القسطنطينية:

بذل السلطان محمد الثاني جهودا مختلفة للتخطيط والترتيب للفتح كما عمل على تقوية الجيش العثماني حتى وصل عدده إلى قرابة ربع مليون جندي، و هذا عدد كبير مقارنة بجيوش الدول في تلك الفترة كما عني عناية خاصة بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة وبمختلف أنواع الأسلحة التي تؤهلهم للعملية، واعتنى ا بإعدادهم إعدادا معنويا قويا و غرس روح الجهاد فيهم، و تذكيرهم بثناء رسول الله «صلى الله عليه و سلم»

---

* غاليبولي: كان ذلك عهد أورخان بن عثمان ثاني سلاطين الدولة العثمانية، و تختلف الروايات حول السنة التي عبر فيها العثمانيون مضيق الدردنيل، ففريق يرى أن العبور كان سنة 1356 من بينهم كاتب مقال أورخان في دائرة المعارف الإسلامية، و فريق آخر يحدده بسنة 1357 و من بينهم فريد محمد في كتابه الدولة العلية العثمانية .

(1) : برنارد لويس، اسطنبول و حضارة الخلافة الإسلامية، ت: د. سيد رضوان على ،ط2، دار السعودية للنشر و التوزيع، السعودية، 1982،ص 16.

(2) : نزار قازان، سلاطين بني عثمان ،ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1996، ص 37.

(3) : د. إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص 48.

على الجيش الذي يفتح القسطنطينية مما أعطاهم قوة معنوية و شجاعة كبيرة، كما كان لانتشار العلماء بين الجنود أثر كبير في تقوية عزائم الجيش[1].

كما اعتنى السلطان محمد الثاني بإنشاء قلعة ضخمة تبعد مسافة ستة أميال عن القسطنطينية، و لقد بدأ العمل بها في مارس 1452م لتكون روملي حصار[2]، حيث أن هناك روايات تقول أن روملي الحصار هذا قد أنشأ في ثلاثة أشهر و في رواية أخرى أربعون يوما[3]، حيث كانت هذه القلعة باتجاه مدخل البحر الأسود كانت تحتوي على أربعة عشر أبرج، و جرت تغطية أكبر خمس أبراج بأسطح مكسوة بالرصاص و كانت ذات بنية قوية و منيعة.[4]

عندما كان عمال السلطان يبنون قلعة روملي هاجمهم الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر بدعوى إتلافهم لأراضيه و تعرضهم لممتلكات رعاياه، فما كان من السلطان محمد الثاني إلا إعلان الحرب ضده، فأمر الإمبراطور بإغلاق القلعة و القبض على الأتراك الذين بداخلها[5] .و تجدر الإشارة إلى أن إنشاء هذه القلعة أعطى السيطرة العثمانية على السفن المارة من المضيق، فالسفن كانت تدفع الرسوم الجمركية و التي ترفض كان يتم قصفها و إغراقها في البحر و بهذا فقد كسب السلطان محمد الثاني موقع إستراتيجي و اقتصادي في آن واحد.[6]

إضافة إلى أن السلطان اهتم بجمع الأسلحة اللازمة للحملة و اعتنى بذلك عناية خاصة و من أهم هذه الأسلحة المدفع، فأحضر مهندسا مجريا يدعى أوربان الذي كان بارعا في صناعة المدافع فأحسن استقباله ووفر له جميع الإمكانيات المالية و المادية و البشرية، و قد تمكن هذا المهندس من تصميم وتنفيذ العديد من المدافع الضخمة كان على رأسها المدفع السلطاني المشهور[7]، حيث كان هذا المدفع عرض فوهته ثلاثة أقدام يرمي الحجارة إلى

---

(1) : د. علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و السقوط ط 5، دار المعرفة، بيروت، 2008، ص 106.
(2) : نيقولا باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية، يوميات الحصار العثماني 1453، ت: د. حاتم عبد الرحمان الطحاوي ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر، 2002، ص 82.
(3) : إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت 1988، ص 65.
(4) : نيقولا باربارو، المصدر السابق، ص 82.
(5) : د.جلال يحي، أوربا في العصور الحديثة، (د.ط)،الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية 1981، ص 237.
(6) : د.عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 52.
(7) : د.علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و السقوط، المرجع السابق ،ص 107.

مسافة أكثر من كيلومتر، و تم نقله من أدرنة إلى أسوار القسطنطينية في مدة شهرين ويجره ستون ثورا.[1]

بالإضافة إلى الاهتمام بالأسلحة فلقد اعتنى السلطان محمد الثاني بالأسطول وعمل على تقويته وتزويده بالسفن المختلفة ليكون مؤهلا للقيام بدوره في الهجوم، حيث أن تلك المدينة البحرية التي لا يكمل حصارها دون وجود قوة بحرية تقوم بهذه المهمة، و قد ذكر أن السفن التي أعدت لهذه الأمر بلغت أكثر من أربع مئة سفينة.[2]

كما أن السلطان لم يغفل عن الاستعداد السياسي فعقد معاهدات هدنة مع جميع جيرانه و الأمراء الذين تربطهم بالدولة علاقات مثل البندقية و جنوة و الصرب و والاشبا و فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس، و كان يهدف من خلال هذه المعاهدات إلى عزل الدولة البيزنطية سياسيا و عسكريا[3].

2- استنجاد قسطنطين بالدول الأوربية لمواجهة السلطان محمد الثاني:

رأى قسطنطين أن السلطان محمد الثاني عازم على دخول القسطنطينية، عرض عليه دفع الجزية فرفض السلطان ذلك و رأى قسطنطين أن يتزوج أرملة السلطان مراد الثاني والد محمد الثاني المسيحية إلا أن أم السلطان رفضت[4].

فأخذ الإمبراطور يستنجد بحلفائه من الدولة الأوربية و على رأسها البابوية في روما لإرسال المساعدات و النجدات العسكرية و المادية لمواجهة الخطر المحدق بالمدينة، فاستغل البابا الفرصة لتوحيد الكنيستين و أمام الضغوطات وافق الإمبراطور على ذلك رغم الاستياء و الرفض الذي أظهره رجال الدين و سكان القسطنطينية.[5]

على هذا الأساس قام البابا بإرسال ثلاثين سفينة حربية لكنها هربت من القرن الذهبي، كما طلب قسطنطين النجدة من الروس و لكنهم لم يكونوا بتلك القوة لتقديم المساعدة، كما طلب المساعدة من الجنويين المتمركزين في غلطة[*] الذين تظاهروا بالحياد[6]، و لكنهم

---

(1) : د. جلال يحيى، المرجع السابق، ص 239.
(2) : د. علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 107.
(3) : د. إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 48.
(4) : محمد شاكر ، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج8، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2004، ص 86.
(5) : د. الغالي الغربي، المرجع السابق، ص 21.
(*) : غلطة: و في مصادر أخرى ذكرت بمصطلح جلطة و هي نقطة التقاء مضيق البوسفور و القرن الذهبي و لقد قدم لأهل جنوة مكافأة من الروم، كما قدم لهم غيره.
(6) : محمد شاكر، المرجع السابق، ص 86.

سرعان ما قدموا المساعدة لكنها ليست كبيرة نظرا لتخوفهم على تجارتهم نحو الشرق خاصة نحو الهند، فأرسلوا لهم سفينتين بهما ثلاثمئة مقاتل، كما قام قسطنطين بفرض ضريبة على السكان من أجل تجنيد و تجهيز الجيش في حين أن اليونانيين لم يقدموا المساعدة بسبب اعتناق الإمبراطور الكاثوليكية[1].

فزعت أوربا كلها للتقدم العثماني السريع و سقوط العواصم الأوربية واحدة تلوى الأخرى، حيث سقطت أدرنة سنة 1366 م وصربيا سنة 1379 م و هاهو الخطر محدق بعاصمة الدولة البيزنطية القسطنطينية.[2]

---

[1]: cwc. oman. MA. FSA.the story of the nations: the Byzantine Empire, fisher unwin London, 1908, p 345, 346.

[2] : حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 45.

المبحث الثاني: فتح القسطنطينية سنة 1453 م:

تمهيد:

أسس مدينة القسطنطينية الإمبراطور الروماني قسطنطين الأكبر، و هو الذي اختارها لتكون عاصمة للدولة الرومانية، و ليصعب اقتحامها كما يسهل الدفاع عنها فأصبحت بيزنطة عاصمة دولة عظمى و مركزا حضاريا ممتازا، حتى أطلقوا عليها روما الجديدة[1]، إلا أن عظمتها لم تمنع محاولات لفتحها عنوة و التي كان آخرها على يد السلطان العثماني محمد الثاني الذي أصر على فتحها لأنها كانت تمثل رمز القوة الأوربية المسيحية.

في الشهور الأخيرة من سنة 1452م كان محمد الثاني قد أعد خطة نهائية للاستيلاء على القسطنطينية و لم يطلع عليها أحدا، فوزيره هلال باشا لا يؤيد الحملة، ففي رأيه أنها مغامرة لا تؤمن عواقبها فهيبة آل عثمان مرتهنة بنجاحها أو فشلها و لكن كان هناك فريق كبير من القادة يؤيد الحملة وصوت المجلس لصالح محمد الثاني و بدأ السلطان يتخذ الخطوات لحصار القسطنطينية.[2] و التي كان يبلغ عدد سكانها خمسون ألف ذات منازل و حقول مهجورة، لكنها تتمتع بثلاث أصوار منيعة ما زالت تحمي المدينة تحرصها قوات قدرها ثمانية ألاف جندي منهم ثلاثة آلاف من المتطوعين الإيطاليين و كان يساعدهم أسطول صغير في القرن الذهبي الذي تحميه سلسلة حديدية ضخمة عبر المدخل.[3]

حشدت ضد هؤلاء جيوش امتدت من شواطئ الدانوب إلى البحر الأسود، فرق إنكشارية نظامية، فرق الفرسان، قوة كبيرة من المدفعية لضرب الأسوار إضافة إلى متطوعين و الطلائع و فرق المساعدين مشكلين قوة مئة و خمسون ألف جندي.[4]

---

(1) : د.محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية و حضارتها، المرجع السابق، ص 35.
(2) : د.زبيدة عطا، المرجع السابق، ص 195.
(3) : برنارد لويس، المصدر السابق، ص 17، 18.
(4) : المصدر نفسه، ص 19.

1/الحصار:

بدأ العثمانيون حصار القسطنطينية بخمسين ألف جندي إلا أن هذه القلعة كانت منيعة و محصنة بالمدافع الموجودة على الساحل و فوق الأسوار و في يوم 11 أفريل قام السلطان بنصب مدفعه بالقرب من الأسوار عند النقطة الأضعف منها، و تم توزيع المدافع في أربعة مواقع حيث نصب ثلاثة منها أمام قصر الإمبراطور.[1]

كما وصل الأسطول إلى ميناء القسطنطينية يوم 12 أفريل و توجه نحو ساحل الأناضول التي كانت تابعة لهم لأن سواحل القسطنطينية تحميها السفن المسيحية و الذي كان مكون من مئة و خمسة و أربعون سفينة[2]،و لتفادي السلسلة الغليظة التي تغلق الخليج قام بعملية مذهلة تمثلت في تسيير سبعة و ستون قطعة صغيرة من الأسطول العثماني و جعلها تنساب عن طريق البر إلى خليج القسطنطينية[3]. تمت هذه العملية عن طريق ألواح خشبية مسافة عشرة كيلومتر بعد أن مهد الطريق و وضع على الألواح الزيوت و الشحوم[4]، إذ تم كل هذا في ليلة واحدة دون أن يشعر بها أحد، فأحدثت هذه العملية انهيارا معنويا للجانب البيزنطي.

يوم 23 أفريل 1453م، أصبحوا على منظر الخليج و هو مغطى بقطع الأسطول العثماني، وتمكن العثمانيون من نصب جسر على الخليج يسمح بمرور خمسة جنود جنب إلى جنب، حيث ذهل الإمبراطور وأمر في 28 أفريل 1453م بتدمير الجسر و إبادة السفن العثمانية التي نزلت إلى الخليج ولكن البيزنطيين فشلوا في إتمام محاولتهم[5]، عندئذ قام الإمبراطور بتشجيع أهل المدينة على الدفاع عنها إلا أن المدافعين على القسطنطينية كانوا متعددي الجنسيات، و إن كان سكان المدينة هم غالبية الجيش المدافع إلا انه كان من بينهم جنويون و بنادقه يضعون مصالحهم الخاصة التجارية فوق كل مصلحة حيث كان هذين الطرفين كثيرا الاقتتال حتى خلال الحصار، و كثيرا ما كان الإمبراطور ينزل إلى الشوارع ليفصل بينهم.

---

(1) : نيقولا باربارو، المصدر السابق، ص 83، 118.
(2) : المصدر نفسه، ص118
(3) : د.عبد الرحمان عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 25.
(4) : محمود شاكر، المرجع السابق، ص 25.
(5) : د.عبد الرحمان عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 25.

كما كان من بين المدافعين كاثوليك و أرثودكس و بعض أتباع الكنيسة الاتحادية، و مفكرون و أحرار و إنسانيون، و ما حدث بين هذه الفرق من حقد و كراهية أثر في استماتتهم للدفاع على المدينة في حين كانت قوات العثمانيين تنادي بالإسلام و وحدة الصفوف فالكل كان ينتظر النصر أو الاستشهاد و الانتقال إلى جنة عدن.[1]

2/الهجوم:

بعد أسابيع من الحصار و قصف المدفعية بدأ أول هجوم على الأسوار و تبعته هجمات أخرى من البر و البحر و لكن ردت كلها من قبل المدافعين و في مجلس عقد في المعسكر العثماني يومي 26 ،27 ماي أصر الوزير الأعظم خليل باشا على ترك الحملة والتي عارضها منذ البداية.[2]

إلا أن السلطان محمد الثاني رفض ذلك و أعد للهجوم الكبير يوم الثلاثاء 29 ماي و كان أشد الهجوم و أعنفه قد ركز و سدد نحو وادي ليكوس القائم بين طوب قبو[*] في الجنوب وباب أدرنة في الشمال.[3] و لمنع مزيد من سفك الدماء بين المهاجمين والمدافعين بعث السلطان محمد الثاني للإمبراطور رسولا يدعوه لتسليم العاصمة بشروط:

1-أن يخرج منها الإمبراطور و بلاطه بكل أموالهم إلى المورة في اليونان و يحكمها تحت سيادة السلطان.

2-أن لا يصاب سكان العاصمة بعد دخول العثمانيين إليها بأي أذى.

لكن الإمبراطور رفض ذلك وفضل الدفاع عن عاصمته حتى الموت.[4]عندئذ جعل السلطان محمد الثاني جنوده الذين يقاتلون في المنطقة ثلاثة أقسام:

القسم الأول المؤلف من جنود الروملي و المتطوعين حديثي العهد بالقتال من أجناس مختلفة الذين تقدموا نحو الأسوار و كان هدف السلطان من وراء ذلك هو إرهاق المدافعين و استنزاف طاقتهم قبل ضربهم الضربة القاضية[5].

---

(1) : د.عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 49.

(2) : برنارد لويس، المصدر السابق، ص 20.

(*) : طوب قبو: معناها باب المدفع لأن العثمانيين نصبوا أمام هذا الباب مدفعا كبيرا ظل يضرب الصور المواجه له و كان اسمه قبل الفتح سان رومان.

(3) : عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العثمانية، ط1، دار بن حزم، بيروت، 2004، ص 155.

(4) : د.عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 53.

(5) : عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، ص 155، 156.

القسم الثاني المؤلف من جنود الأناضول و الذين هاجموا بأشد قوتهم بعد انسحاب الفرقة الأولى و ذلك يعود إلى حسن التنظيم و التدريب ثم أمرهم السلطان بالانسحاب بعد أن نال التعب من المدافعين عندئذ تيقن القائد البيزنطي جستنيان بفوزه و دحر أعدائه حيث قال للإمبراطور أن سيوفهم دحرت الأعداء و لكن الفاتح لم يتركهم يستريحون، فلم يكد يسحب جنوده من السور حتى أطلقت المدافع وعندها تقدم **القسم الثالث** و هم الإنكشارية القوة الضاربة للعثمانيين الأكثر حنكة و بسالة.[1]

3/الفتح:

قاد السلطان بنفسه عملية الاقتحام و تمكن العثمانيين من الدخول إلى مواقع الدفاع كما تمكنت قوة أخرى من دخول المدينة من جهة باب السيرك الذي كان مهملا، فقتل الإمبراطور قسطنطين آخر الأباطرة في هذا الهجوم، و بعد ساعات دخل السلطان إلى المدينة من باب طوب قبو و أوقف عمليات السلب و النهب التي بدأها جنده ثم توجه نحو كنيسة آيا صوفيا و التي تعني الحكمة المقدسة و دعا إماما للصعود إلى المنبر و جهر بعقيدة الإسلام و هكذا أصبحت الكاتدرائية اليونانية مسجدا[2].

هكذا سقط معقل المسيحية في جنوب شرق أوربا و تأسست فيها قوة جديدة والتي سماها أحد القساوسة "إمبراطورية الأتراك المجيدة و إرهاب العالم الحالي".[3]

إذا كان السلطان الفاتح منذ البداية عازم على جعل القسطنطينية عاصمة لدولته و لهذا عمل على جعلها تحيى من جديد و أن تتمتع بالمزايا العسكرية والاقتصادية التي كانت تتمتع بها، و لهذا أقدم على عدة خطوات ساهمت في سرعة إنعاش العاصمة الجديدة[4] و من بين هذه الخطوات نذكر:

أ-كانت قليلة السكان فعمد السلطان إلى عمارها عن طريق الهجرات الإسلامية إليها و التي استمرت إلى أن صارت هذه العاصمة إسلامية تماما رغم وجود العناصر المسيحية التي فرت من العاصمة بعد السقوط للعودة إليها و استمرارهم في مزاولة نشاطهم.

---

(1) : المرجع نفسه، ص 156.
(2) : برنارد لويس، المصدر السابق، ص65.
(3) : المصدر نفسه، ص 26.
(4) : د.عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 53.

ب-كان في حي غلطة جالية جنوية كان لها دور كبير في تنمية تجارة المدينة و لهذا عمل على أن يبقى الجنويون في حيهم، فأبقى مالهم من امتيازات و زاد عنها، فكانوا بذلك أداة نمو ثروة العاصمة و اتصال مع الدول الأوربية الأخرى.[5]

4/آثار فتح القسطنطينية:

كان للفتح الإسلامي للقسطنطينية وقع عظيم سواء على العالم الإسلامي أو المسيحي، فتح القسطنطينية بالنسبة للعالم الإسلامي يعني ذلك انتشار الإسلام في أوربا حيث كانت الدولة البيزنطية تقوم كعائق أمام انتشار الإسلام بالمنطقة، و يعتبر فتح القسطنطينية من أهم أحداث التاريخ العالمي وخصوصا تاريخ أوربا و علاقتها بالإسلام حتى عده المؤرخون الأوربيون و من تابعهم نهاية العصور الوسطى و بداية العصور الحديثة.[1]

كما كان تأثير هذا الحدث تأثيرا كبيرا على أوربا، بحيث اهتز كل عرش في هذه القارة و انتاب الملوك و الأمراء شعور بالهلع و الألم و الخزي بعد أن سقط الحصن الذي طالما حمى أوربا من آسيا أكثر من ألف عام، و كان يعني لهم انتصار العثمانيين بداية توغلهم في أوربا. كما أن البابوية كانت تحلم بإخضاع جميع المسيح اليونانيين لحكم روما، ففزعت عندما رأت تحول الملايين من سكان شرقي أوربا إلى الإسلام، فكتب البابا نيقولا الخامس إلى جميع حكام الأوربيين طالبا منهم طرح الخلافات و توحيد الجهود ضد العثمانيين والعمل على تشكيل حلف صليب آخر.[2]

شكل فتح القسطنطينية عامل دعم للممتلكات الجديدة للدولة العثمانية و فرض هيبتها على العالمين الإسلامي و الأوربي، كما أضحت طرق التجارة التي كانت مفتوحة أمام السفن الغربية في أيدي عثمانية تفرض عليها الضرائب في وقت السلم أو تسدها المدافع عهد الحرب.[3]

إذا هجر الفن البيزنطي موطنه و أخذت هجرة العلماء إلى ايطاليا و فرنسا التي كانت قد بدأت عام 1397م تزدهر و تثمر في إيطاليا نتج عنها الدعوة إلى إنقاذ اليونان القديمة.[4]

---

(5) : المرجع نفسه، ص 53، 54.

(1) : د.محمد علي الصلابي، السلطان محمد الفاتح و عوامل النهوض في عصره،المرجع السابق، ص 149.

(2) : د.محمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط1، دار النفائس، بيروت، 1995، ص 97.

(3) : المرجع نفسه، ص 98.

(4) : محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2001، ص 160.

بالرغم من سقوط الدولة البيزنطية سنة 1453م إلا أنها ظلت حية في عقيدتها و فنونها و آدابها وظل تأثيرها ليس على الأراضي التي كانت خاضعة لها فقط بل على القوى في الغرب الأوربي، فالنهضة الأوربية استمدت حضارتها من المنابع القديمة و من أهمها المنبع اليوناني، فالقانون و الفلسفة و الأدب تدين بالكثير لبيزنطة.[1]

[1] : د. زبيدة عطا، المرجع السابق، ص 206.

المبحث الثالث: جهود محمد الفاتح الحربية في أوربا بعد فتح القسطنطينية:

شهد عصر محمد الثاني عملا من أهم أعمال التاريخ العثماني و هو الاستيلاء على القسطنطينية والذي كان له تأثير كبير على مصير أوربا، و أعطى التفوق للأتراك على الغرب و لعدة قرون و كادت هذه الحادثة أن تغير التاريخ و بشكل نهائي، كما أنه كان يمثل أول عملية حصار كسبتها المدفعية[1] ولكن هذا الشاب الطموح الذي فتح القسطنطينية و عمره لا يتجاوز 24 سنة لم يتوقف عند هذا الحد بل كانت بداية للتوسع على حساب أوربا فكانت له إنجازات عظيمة نوجزها فيما يلي:

1- فتح بلاد الصرب:

أراد محمد الثاني أولا أن يسيطر تماما على إمارة الصرب التي تقع جنوب نهر الدانوب و على طريق أوربا في موقع هام، فأرسل إليها حملة أولى سنة 1454 م لكنها لم تتمكن من الحصول على انتصار حاسم و شهد العام التالي هجوم ملك المجر هونيادي وانتصاره على أحد الجيوش العثمانية، فاضطر السلطان إلى الخروج بنفسه على رأس الحملة و وصل الجيش إلى بلغراد و حاصرها و بدأ ضرب أسوارها بالمدفعية[2].

لكن هونيادي جمع جيش كبير من المتطوعين من المجر وألمانيا و بوهيميا و ايطاليا و وصل بهم في سفن عبر نهر الدانوب حتى بلغراد سنة 1456م، و فشلت ثلاث هجمات للعثمانيين و قتل بعض قادتهم، فاضطر السلطان لرفع الحصار على بلغراد.[3]

تعود الصعوبة التي تعرض لها العثمانيين في عملية فتح بلاد الصرب إلى إجماع العالم المسيحي على الوقوف خلف بلغراد صفا واحدا، فقد حارب السلطان في بلغراد على الرغم من بعد المسافة بينهما، فهو يحارب في بلاد يتربص أهلها بالعثمانيين و لذا لم يتمكن الأسطول العثماني من مقاومة الأسطول المجري و انهزم واضطر للانسحاب من بلغراد بعد تمكنهم من دخولها بفضل الإنكشارية، و رغم الهزيمة انسحب العثمانيين في شكل منظم لا يعطي فرصة للعدو للتمكن منه.[4]

---

(1) : د.جلال يحيى، المرجع السابق، ص 236.
(2) : المرجع نفسه، ص 246.
(3) : د.محمد السيد، الفتوحات الإسلامية، المرجع السابق، ص 184.
(4) : د.محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية و حضارتها، المرجع السابق، ص 66، 67.

إلا أن الظروف ساعدت السلطان العثماني بوفاة كل من هونيادي سنة 1456 م و برانكوفيتش الملك الصربي سنة 1457 م، فدبت الفوضى في حكومة بلغراد بسبب تنازع الورثة على الحكم ،الأمر الذي مكن السلطان من تجهيز حملة رابعة بقيادة الصدر الأعظم محمود باشا، و أرسلها إلى بلاد الصرب لاستكمال فتحها، و فعلا أنجز الصدر الأعظم العمل في مدة سنتين 1458- 1460 م، و تمكن من وضع يده على بلاد الصرب باستثناء مدينة بلغراد.[1]

بذلك أضحت الصرب ولاية عثمانية و قام العثمانيين بعد ذلك بدمج النظام الإقطاعي السابق و التشريع و النظم المالية بعد تغييرها في التنظيم الإداري العثماني.[2]

2- فتح بلاد المورة (اليونان):

كان يحكم المورة قسطنطين قبل أن يعتلي عرش بيزنطة و عندما تولى العرش سنة 1448 م أعهد بها إلى أخويه توماس و ديمتريوس، و عند سقوط القسطنطينية أصابها الفزع و بادر الأميرين إلى طلب السلام من السلطان محمد الفاتح، فأبقاهما في الحكم و فرض عليهما جزية سنوية.[3]

إلا آن توماس خضع للعثمانيين كرها، و انتظر الفرصة لإعلان تمرده و فعلا استغل انشغال السلطان بقمع الاضطرابات التي حدثت في اسيا الصغرى و انشغاله في صربيا، فهاجم أخاه ديمتريوس و الحاميات العثمانية في المورة و استولى على عدة مدن، فاستنجد أخاه بالسلطان الذي عاد إلى المورة فهرب توماس إلى ايطاليا. ومنعا لتجدد أعمال التمرد وضع السلطان الإقليم تحت السيطرة المباشرة للحكم العثماني و نفى ديمتريوس إلى إحدى الجزر، فتح خلال حملته هذه أثينا سنة 1460 م كما ضم سنة 1464 م عدة جزر من الأرخبيل مثل تاسوس، اثبروس، حتى أضحت بلاد اليونان تحت السيطرة العثمانية المباشرة[4]، و لم يبقى إلا طرا بيرون من الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الأسود كآخر أثر للإمبراطورية البيزنطية، إضافة إلى بعض الجزر منها كورنثه، مودون، التي سيستولي عليها بايزيد الثاني فيما بعد.[5]

---

(1) : د.محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 100، 101.
(2) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 164.
(3) : المرجع نفسه، ص 165.
(4) : د.محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 102.
(5) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص166.

3- فتح الأفلاق و البغدان:

تقع هاتان الإمارتان الرومانيتان شمالي نهر الدانوب و تحيط بهما ثلاثة دول كبرى تتنازع السيادة عليها بولندة، المجر و الدولة العثمانية فكانت بحكم موقعها الجغرافي تحالف هذه الدولة تارة والأخرى تارة أخرى وفقا لمصلحتهما، حيث عقد حاكم الأفلاق دراكول معاهدة سنة 1460م مع السلطان العثماني تعهد خلالها بدفع جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوقة مقابل احتفاظ الإمارة بإدارتها الداخلية والحماية العثمانية ضد أي عدو خارجي.[1]

لكن حاكم الأفلاق قام بقتل إحدى السفارات العثمانية فزحف السلطان محمد الثاني على رأس جيش لمحاربته، لكنه انسحب موكلا أمير البغدان بمحاربته فاضطر دراكول على الاستنجاد بالمجر فتجدد الصراع سنة 1475م، و بعد عدة سنوات تخلى المجر عن الأفلاق و تمكن العثمانيون بعد ذلك من فتحها.[2]

4- فتح البوسنة و الهرسك:

دخل العثمانيون البوسنة و ثبتوا أقدامهم فيها حيث استنجد حاكمها متياس بالبابا و البندقية، فعرضت فرنسا تكوين جبهة متحدة ضد العثمانيين إلا أن المجر رفضت لأنها سوف تتحمل الحرب وحدها ضد العثمانيين، فلقد كان الملك المجري مهتما بالمعارضة في بوهيميا و عمل على محاربتها.[3]

كانت البوسنة تعاني من المنازعات على العرش، و قامت الحرب الأهلية، وتدخل البابا لإصلاح الأحوال الداخلية و أدرك السلطان العثماني أن حاكمها لن يدفع الجزية فأرسل جيشا سنة 1463 م فتقدم ملك البوسنة طالبا للهدنة مدتها خمسة عشر سنة فقبل السلطان العرض، و بعدها فاجأ السلطان البوسنة و استولى عليها كما استولى العثمانيون على الهرسك بعد إخضاع البوسنة[4]

فتحت البوسنة بسهولة وذلك يعود لوجود جماعة تدعى بوجميل و كانت قد تعرضت للاضطهاد من قبل رجال الدين الكاثوليك و الأرثودكس ، حيث أصبحت هذه الجماعة شديدة

---

(1) : د.محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 102.
(2) : د.جلال يحيى، المرجع السابق، ص 248.
(3) : د.محمود السيد، الفتوحات الإسلامية، المرجع السابق، ص 185.
(4) : د.محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية و حضارتها،المرجع السابق، ص 68.

البغض للمسيحيين إذ رحبت بالأتراك العثمانيين نظرا لتقارب المبادئ بالدين الإسلامي، و دخل عدد كبير من سكان البوسنة إلى الإسلام و حتى النبلاء منهم.[1]

5- فتح ألبانيا:

أصر السلطان محمد الثاني على وضع حد لمتاعبه في أوربا حتى يمكنه أن يركز على السيطرة على الأناضول، فبعدما سيطر على صربيا و اليونان بقيت ألبانيا تشكل له صعوبة في الغرب الأوربي، فدارت مفاوضات بين السلطان و حاكم ألبانيا اسكندر بك انتهت بعقد هدنة بينهما سنة 1461م،مكنت اسكندر بك من السيطرة على الجزء الجنوبي من ألبانيا.[2]

كما تنازلت له الدولة العثمانية عن إقليم أبيروس، و في المقابل يتعهد اسكندر بك أن لا يمس ممتلكات الدولة العثمانية في الشمال، إلا أنه نقض هذه المعاهدة بعد ثلاث سنوات و اصطدم مع العثمانيين في معارك حامية كان النصر حليفه فيها[3]. و أمام هذه الخسائر المتكررة التي حظي بها العثمانيين رأى السلطان محمد الثاني الخروج بنفسه على رأس جيشه، فجهز جيش قوامه مئة ألف جندي و زحف به على ألبانيا و دخلها سنة 1465 م، وحاصر كروبا إلا أن الجيش العثماني انهزم إلى غاية وفاة اسكندر بك سنة 1467 م [4]، و بذلك دخلت ألبانيا في اضطرابات ومثل ذلك نهاية استقلال ألبانيا و قبل الألبانيون الانضمام للدولة العثمانية، حيث نجد عدد كبير من الألبانيين اعتنقوا الدين الإسلامي.[5]

6- النزاع مع البندقية و انتزاع بعض ممتلكاتها:

لقد دامت الحرب بين الدولة العثمانية و البندقية ستة عشر سنة، و كان النصر لأحدها ثم الطرف الأخر وظل الوضع بين مد و جزر إلى غاية سنة 1479 م، أين عقد السلطان معاهدة صلح مع البندقية[6]، و بمقتضى هذه المعاهدة تقوم البندقية بالانسحاب من شكودرا و من المناطق التي سيطرت عليها مثل مانيا في المورة و جزيرتي ليمنوس و أيوبا، و كذلك المدن التي احتلتها مؤخرا بالإضافة إلى دفع جزية سنوية تصل إلى عشرة آلاف دوقية

---

(1) : د. عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 57.
(2) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص166.
(3) : د.محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 104.
(4) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 167.
(5) : د.جلال يحي، المرجع السابق، ص 249.
(6) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 178.

ذهبية[1]، و الاعتراف بالحكم العثماني في ألبانيا و الفتوحات العثمانية في جزر البحر الإيجي الشمال، في مقابل سماح السلطان للبنادقة باستعادة عدة موانئ من دلماشيا بالبحر الأدرياتيكي، فضلا عن الممتلكات السابقة في المورة و منحها حرية التجارة في جميع أرجاء الدولة العثمانية، و أن يكون للبندقية قنصل في إسطنبول يشرف على مصالح البندقية و ينظر في قضاياهم المدنية.[2]

7- فتح جنوب ايطاليا و حصار رودس:

إن النصر الذي أحرزه السلطان ضد البنادقة وامتلاكه أعظم قوة بحرية في شرق البحر الأبيض جعله يحاول تحقيق هدفين هامين للبحرية هما:

أ) غزو جزيرة رودس بالقرب من مدخل البحر الإيجي التي تعتبر البوابة التي تنطلق منها لمزيد من التوسع في غرب البحر الأبيض.

ب) احتلال ايطاليا التي صارت مهيأة للغزو بسبب المنافسات العميقة بين البندقية و نابولي و ميلان فضلا عن الانقسامات التي أوجدها النشاط السياسي للبابا في روما.[3]

استغل السلطان عدم احترام نابولي لمعاهدة التحالف معه و إرسالها لعدة سفن لنجدة رودس،فأرسل جيشا بقيادة الوزير أحمد باشا الذي نزل في أوترانتو و فتحها و ذلك سنة 1480.[4] في تلك الأثناء أيضا قام السلطان محمد الثاني بإرسال قوة بحرية أخرى لفتح جزيرة روس التي كانت مركز رهبنة القديس يوحنا الذين كانوا يعترضون السفن في البحر و كان جنود هذه الجزيرة يكنون أشد الكره و الحقد للمسلمين، و لكن كل هجمات العثمانيين على أسوار هذه القلعة باءت بالفشل مما أدى إلى تقهقر العثمانيين بعد أن قتل عدد منهم و جرح منهم كثيرون و قام البقية برفع الحصار بعد نبأ وفاة السلطان.[5]

توفي السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح بعد أن قاد خمسة و عشرون حربا بنفسه في ثلاثين سنة من حكمه،والتي تعرض خلالها إلى أربعة عشر مؤامرة لقتله إلا أنه لم ينجو

---

(1) : وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2003، ص 66.

(2) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص179.

(3) : المرجع نفسه، ص 179.

(4) : د.محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 115.

(5) : وديع أبو زيدون، المرجع السابق،ص 68.

من الأخيرة، فقد قتله البندقة بإطعامه السم بواسطة طبيب يهودي الأصل الذي كان أحد أطباء القصر.[1]

توفي هذا القائد الفذ سنة 1481 م بعد أن فتح مملكتين و اثنا عشر ولاية و استولى على أكثر من مئتي مدينة و بنى عدة مساجد و مدارس و لقد كان محب للعلماء و رجال الأدب.[2] و دعم حكمه الوجود العثماني بشكل نهائي في أوربا، و أعطى لمملكته حدود طبيعية امتدت عبر الدانوب فيما عدا بعض النقاط التي احتفظت بها البندقية في ألبانيا و بلاد اليونان، حيث أخضع كل الأقاليم الواقعة داخل هذه الحدود، ومع كل هذه الحروب وجد السلطان محمد الثاني وقتا لتنظيم وإدارة إمبراطورية فحول سلطنته من مجرد قيادة جيش غازي إلى دولة لها أهميتها و وزنها بين القوى في تلك الفترة.[3]

---

(1) : عزت بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، ت : محمد زينهم، محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص 46.

(2) : المصدر نفسه، ص 52.

(3) : د.جلال يحي، المرجع السابق، ص 250.

المبحث الرابع: السلطان بايزيد الثاني و توقف التوسع في عهده 1481م- 1512 م:

1- أزمة جم:

كان بايزيد الثاني أكبر أبناء السلطان محمد الفاتح، حيث كان حاكما في عهد أبيه على مقاطعة أماسيا، وكان له ابن ثاني جم حاكما على مقاطعة القرمان، و بعد وفاة السلطان محمد الثاني وقع خلاف عمن يتولى الحكم، حيث كان الصدر الأعظم قرماني محمد باشا يميل إلى جم في حين تميل الإنكشارية لبايزيد الثاني و لقد استطاعوا مبايعته على الحكم، لكن عندما سمع جم وفاة والده احتل بورصة عنوة ودعا أخاه بايزيد إلى تقسيم البلاد بينهما، الجزء الأسيوي لجم و الجزء الأوربي لبايزيد و لم يوافق على ذلك.[1]

ففر جم إلى المماليك بمصر و أقام عند سلطانها قايتباي في القاهرة مدة سنة و بعدها حاول مصالحة أخاه على أن يعطيه مقاطعة و لكنه رفض، ففر جم إلى رودس إلا أن السلطان بايزيد طلب من حاكم رودس فرض الإقامة الجبرية على جم مقابل مبلغ من المال سنويا فوافق على ذلك، لكنه سلمه إلى ملك فرنسا ثم البابا و توفي بعد ذلك.[2]

بعد انتهاء الحرب الأهلية بين جم و بايزيد الثاني تفرغ السلطان لشؤون دولته، و كان مسالما كارها للحرب فلم يلجأ إلى مد أملاك الدولة العثمانية لا شرق و لا غرب، بل انصرف إلى سياسة التعمير ومهما كانت سياسة بايزيد الثاني سلمية فإن الظروف الخارجية أملت عليه النشاط الحربي عندما كان الوضع يسمح بذلك.[3] فدخل في صراع مع البولنديين فاستولى على كيلي و أكرمان و واجه تحالف صليبي يقوده البابا لكنه انتصر عليهم في معركة ليبانتو سنة 1499.[4]

---

(1) : محمود شاكر، المرجع السابق، ص 91.

(2) : المرجع نفسه، ص 91، 92.

(3) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 193.

(4) : محمود ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية، دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299- 1923، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1989، ص 48.

2- فتح الجبل الأسود:

رغم سلمية السلطان بايزيد الثاني إلا أنه توجه نحو فتح مونتينجرو أو الجبل الأسود، وذلك بعد سنة 1496م، و لقد تأخر فتحها بسبب عزلة هذه المنطقة عن باقي بلاد أوربا، و نظرا لصعوبة تضاريسها وبعدها استبدل العثمانيون سياسة السيطرة المباشرة بأخرى تعتمد على الاكتفاء بالسيادة الاسمية والاعتماد في ذلك على ذوي الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية بين أهل مونتينجرو، و هم المسؤولون أمام السلطان العثماني عن جمع الضرائب و تسليمها، و تقديم الخدمة العسكرية.[1]

3- الصراع مع البندقية:

اضطر السلطان بايزيد الثاني إلى الدخول في صراع مع البنادقة و ما جر عليه من إرسال السلطان قوات برا و بحرا لفتح مدينة ليبنته من بلاد اليونان التابعة للبنادقة، ففتحت بكل سهولة عقب انتصار العمارة العثمانية على مراكب البنادقة التي اعترضتها عند مدخل خليج المدينة، و في السنة التالية احتل العثمانيون ثغور مودون، كورون و ناورين من بلاد اليونان و كانت من أملاك البنادقة في هذه البحار[2]. إلا أن البندقية طلبت المساعدة من باقي الدول الأوربية فقدمت لها سفن لكن العثمانيون تمكنوا من فتح رودستو الواقعة على بحر الأدرياتيكي [3].

في ظل الظروف الداخلية للدولة العثمانية منعتها من مواصلة الفتح التي طالت البنادقة و البابا في 1503 م، ب الإضافة إلى منح السلطان لحلفائه النصارى هدنة لمدة سبع سنوات، لأنه كان مضطر إلى تكريس انتباهه و جهوده إلى التطورات المهمة في الشرق و على رأسها ظهور قوة جديدة في إيران أي الدولة الصفوية الشيعية.[4]

---

(1) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 194.

(2) : محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ت: د. إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص 184، 185.

(3) : المصدر نفسه، ص 185.

(4) : برنارد لويس، المصدر السابق، ص 50 ، 51.

4- ظهور الخطر الصفوي:

استغل الصفويون سياسة المسالمة التي انتهجها السلطان بايزيد الثاني وأرسلوا دعاة إلى بلاد الأناضول وقد قامت هذه الدعوة بزعامة القائد الشيعي القوي الشاه إسماعيل الصفوي، و هذا ما جعل لهم أنصارا و مؤيدين تكاثروا إلى درجة تهديد الخلافة العثمانية في عقر دارها[1]. و أعتبر الصفويون خطر سياسي و عسكري، إلا أن بايزيد رفض أن يقوم بهجوم واسع ضد الدولة الصفوية رغبة منه في تجنب الحرب قدر الإمكان، فطلب من دولة أزبك في خرسان الوقوف في وجه المد الشيوعي إذ قاموا بهجمات شغلت الصفويين بقية عهد بايزيد.[2]

5- بداية العلاقات الدولية عهد بايزيد الثاني:

رغم أن التوسع قد توقف عهد السلطان بايزيد الثاني و هذا غريب لأن سياسة جميع السلاطين قبله كانت سياسة التوسع و التي كانت في أوج قوتها و رغم أنه لم يتوسع إلا أنه وجد طريقة جديدة في التعامل مع الدول الأوربية عن طريق إقامة علاقات دبلوماسية معها.

ففي عهده بدأت علاقات تربط الدولة العثمانية مع مملكة الروس، و ذلك بعد تفرق مملكتهم الأولى عقب إغارة المغول عليها و الاستيلاء عليها مدة من الزمن إلى أن استخلصها منهم إيوان الثالث الملقب بـ دوق موسكو و أعاد لها مجدها السابق سنة 1481م، و بدأت العلاقة بينه و بين الدولة العثمانية سنة 1492م، حيث وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي معه هدايا للسلطان، و بعد ذلك بأربع سنوات أتى إليها سفير آخر و حظي بامتيازات لصالح الروس.[3]

كما بدأت المواصلات مع بولونيا فعقدت معاهدة بين الطرفين سنة 1490م، و لقد تجددت سنة م1492 لكن الوفاق بينهما تكدر بسبب إدعاء كل منهما الحماية على البغدان.[4]

كذلك بدأت المخابرات بين الدولة العثمانية و البابا إسكندر السادس و ملك نابولي، و دوق ميلانو وجمهورية فلورنسا، فكان كل منهم يجتهد في محالفة الدولة العثمانية للاستعانة

---

(1) : عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، ص 245.
(2) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 199.
(3) : محمد الطاهر سحري، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ط1، مطبعة المعارف، الجزائر، 2008، ص 111.
(4) : محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 184.

بجنودها و مراكبها لمحاربة من عداهم.[1]

بدأ عهد السلطان بايزيد الثاني بحرب أهلية بسبب صراعه مع أخيه جم على من يتولى الحكم ونفس الشيء عند نهاية عهد بايزيد الثاني، والسبب قيام حروب داخلية بين أولاده الثلاثة و بينه و من بينهم سليم الذي سار إلى أورنة و شكك في قدرة والده على مواجهة الصفويين، فقام بالانقلاب ضد والده بمساعدة الإنكشارية الذين طلبوا من بايزيد التنازل عن الحكم لصالح ابنه سليم فتنازل السلطان بايزيد الثاني عن الحكم سنة 1512 م.[2]

من خلال ما سبق يمكن أن نخلص أنه لم يحدث تطور كبير عهد السلطان بايزيد الثاني عكس ما حدث عهد والده محمد الفاتح الذي غير مجرى التاريخ العثماني بفتح القسطنطينية، و هذا بسبب سلمية بايزيد الثاني و زهده فلقب بين العثمانيين بالولي لاشتهاره ببناء المساجد، و على العموم فقد حافظ على كيان الدولة العثمانية قبل أن يسلم الحكم لابنه.

---

(1) : المصدر نفسه، ص 185.

(2) : هدى درويش، الإسلاميون و تركيا العلمانية، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1998، ص 31.

الفصل الثالث: التوسع العثماني في أوربا خلال الفترة 1512م- 1566 م :

المبحث الأول: السلطان سليم الأول و توجهه نحو الشرق 1512 م - 1520 م.

المبحث الثاني: السلطان سليمان القانوني و عودة الفتوح إلى الجبهة الأوربية.

المبحث الثالث: فتح بلغراد، رودس و الزحف على المجر على يد السلطان سليمان القانوني.

المبحث الرابع: التقارب العثماني الفرنسي و عودة الصراع على المجر مع النمسا.

المبحث الأول: السلطان سليم الأول و توجهه نحو الشرق 1512 م- 1520 م:

تمهيد:

إن الحديث عن عهد السلطان سليم الأول يدفعنا إلى ذكر حدثين مهمين في التاريخ العثماني، أولهما التوجه العثماني نحو الشرق و تغيير جبهة التوسع، و الحدث الثاني مسألة انتقال الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين.

على العموم فلقد ارتقى السلطان سليم الأول إلى الحكم خلف لوالده بايزيد الثاني بعد أن عزله بمساعدة الإنكشارية، و لقد بدأ هذا السلطان حكمه بسفك الدماء فقتل عدد من إخوته كما قام بقتل العديد من الرعايا و جمع أبناء إخوته و قتلهم جميعا و لذلك لقب بالشرس، إلا أنه كان محبا لمجالس العلماء و رجال الدين الذين كرمهم، كما كان يصطحب المؤرخين و الشعراء إلى المعارك ليسجلوا أحداثها[1]، فعندما تولى العرش حمل معه طموحات رامية إلى إعادة سياسة جده محمد الفاتح النشيطة في الغزو و تحقيق وجود إمبراطورية عثمانية عالمية، و بذلك قرر الاعتماد على الإنكشارية و الذين ساعدوه كثيرا.[2]

ساعدته شخصيته على تنفيذ مطامحه، فلقد كان ذو شخصية عسكرية بالفطرة، لذا كانت نظرته إلى كل القضايا نظرة عسكرية كما كان يرى أن الأمور المستعصية لا تحلها إلا القوة هذا ما جعل العسكريين يحبونه، و بما أن دولته قد أصبحت أقوى دولة إسلامية آنذاك لذلك كان عليه القيام بالمهمة الملقاة على عاتقه بتوحيد العالم الإسلامي.[3]

1- التوجه نحو الشرق:

كان السلطان سليم الأول في مفترق الطرق فيما يخص مصير دولته، فهل تظل دولته على هذا الوضع و هذا القدر من الاتساع، أي دولة بلقانية أناضولية ؟ أو يستمر في التوسع الإقليمي في أوربا ؟ أو يتجه نحو المشرق الإسلامي ؟[4].

لكنه خرج عن السياسة الأوربية فتوقف عن الزحف الغربي و التوسع على حساب القوى

---

(1) : أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 76.
(2) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 203.
(3) : محمد شاكر ، المرجع السابق، ص 98.
(4) : د.أحمد إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 25.

المسيحية المجاورة، و بذلك خرج عن التقليد العثماني و لقد اختلف المؤرخون في تفسير هذه الظاهرة.[1]

فظهرت بذلك ثلاث نظريات تحاول تفسير هذا التغير في السياسة العثمانية وهي:

النظرية الأولى:

نظرية التشبع العثماني في أوربا و ذلك بنهاية القرن 15 م، و كان على الدولة العثمانية في بداية القرن 16 م أن تبحث عن ميادين جديدة للنشاط و التوسع، و يمكن القول أن موقف الدولة العثمانية من الجبهة الأوربية في هذه الفترة كان دفاعيا أكثر منه هجوميا، و الواقع التاريخي يتفق مع هذا الموقف فلكل دولة مدى معين في التوسع، و دولة مركزها اسطنبول فمن المعقول أن يقف مداها في المجر.[2]

النظرية الثانية:

النزاع العثماني الصفوي و يرى أصحاب هذه النظرية أن سياسة الدولة الصفوية في إيران والمتعلقة بمحاولة بسط نفوذ المذهب الشيعي في آسيا الصغرى و العراق، هذا ما دفع الدولة العثمانية إلى الخروج إلى المشرق العربي لحماية آسيا الصغرى بصفة خاصة و العالم السني بصفة عامة.[3]

النظرية الثالثة:

الأحداث التي حصلت في الشرق الأوسط و ما حوله في أوائل القرن 16 م هي التي جذبت الدولة العثمانية للخروج إلى المشرق الإسلامي، و المقصود هنا بأحداث الشرق الإسلامي هو الزحف البرتغالي على حدود البلاد العربية و منافذها البحرية، و إن خروج العثمانيين إلى هذه المناطق كان هدفه حماية الشرق الإسلامي من الخطر البرتغالي، و ذلك بحماية الحرمين الشريفين و المدن الإسلامية المقدسة و العالم الإسلامي من هجمات البرتغال الأمر الذي عجز عنه المماليك.[4]

---

(1) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 208.
(2) : د.أحمد إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 26.
(3) : المرجع نفسه، ص 27.
(4) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 208.

ورغم تعصب كل فريق من المؤرخين لرأيه أو نظريته، فإننا لا نرى ما يمنع من أن تكون هذه العوامل جميعها مسؤولة مسؤولية مشتركة عن الاتجاه الشرقي للدولة العثمانية.[1]

2- الصراع العثماني الصفوي:

لقد توجه السلطان سليم الأول إلى الشرق لمواجهة المد الصفوي * الشيعي بقيادة الشاه إسماعيل لتقع معركة بين الطرفين في 23 أوت 1514 م بسهل تشالدران*، حيث تمكنت الفرق الإنكشارية والمدفعية العثمانية من هزم الشاه إسماعيل، كما تمكن السلطان العثماني في السابع من سبتمبر من نفس السنة من دخول العاصمة الصفوية تبريز*، و لكن ما يلفت الانتباه في معركة تشالدران بين الطرفين هو ما طلبه الشاه إسماعيل من سليم الأول من عدم استخدام المدفعية لأن هذا السلاح لم يدخل بعد إلى الجانب الصفوي، إذ وعده السلطان بذلك لكنه بعد ذلك خدعه و استخدم هذا السلاح الذي كان سبب نصر العثمانيين بعد اثني عشر ساعة من بدأ المعركة.[2]

رغم انتصار العثمانيين إلا أنهم لم يتمكنوا من البقاء في هضاب إيران و انسحبوا إلى الأناضول كما بقي الشاه إسماعيل مسيطرا على دولته، فحصل اضطهاد بين الطرفين الشيعيين بالأراضي العثمانية و السنيين بإيران مما انجر عنه عدة مجازر.[3]

بعد أن هزم السلطان سليم الأول الصفويين و دخوله تبريز استولى على ديار بكر و هي إحدى المدن الصفوية و كردستان و كان ذلك مقدمة لدخول بلاد الشام و مصر.[4]

إن التوجه العثماني نحو الشرق أسفرت عنه جملة من النتائج أهمها:

1- لم توجه أي حملة نحو أوربا لمدة ثمانية سنوات و كانت العلاقة بين الطرفين تتسم بالطابع السلمي.

2- اكتساب الدولة العثمانية صيغة عربية و زيادة عدد رعاياه المسلمين و أصبحت بذلك الدولة العثمانية إمبراطورية آسيوية، افريقية، بلقانية.

---

(1) : د.أحمد إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 28.

* : الصفوية: و تنسب هذه الحركة إلى الشيخ إسحاق الأردبيلي 1252- 1324 م و تجمع المصادر كلها أنه حتى قيام الدولة الصفوية سنة 1500 م أن الشيخ إسحاق كان شافعي المذهب و لم يدعي انتسابه إلى آل البيت رضوان الله عليهم، و لكن الكتب دونت عهد الشاه إسماعيل مؤسس الدولة أن نسبه إلى الإمام موسى الكاظم أي نسبه إلى علي رضي الله عنه.

* : تشالدران: و مذكورة في بعض المصادر جالدران.

* : تبريز: تقع في الشمال الغربي من إيران بالقرب من الحدود التركية.

(2) : شوقي أبو خليل، المعارك الكبرى في التاريخ الإسلامي، تشالدران، ط1، دار الفكر، دمشق، 2005، ص 60.

(3) : برنارد لويس، المصدر السابق، ص 52.

(4) : موفق بني مرجة، صحوة الرجل المريض،(د.ط)، مؤسسة صقر الخليج، الكويت ،1984، ص 41.

3- ورثت الدولة العثمانية بعد اتجاهها إلى الشرق تركة مثقلة بالمشاكل أهمها تحول طريق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح مما انجر عنه مواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر.[1]

3- الصراع العثماني المملوكي:

يرى بعض المؤرخين أن الصراع العثماني الصفوي هو الذي جعل سليم يقرر الاستيلاء على الأراضي المملوكية، في حين يرى البعض الآخر أن الصراع العثماني الصفوي ليس سببا مباشرا للتوسع على حساب الأراضي المملوكية و إنما كان يمثل التنافس على السيادة على العالم الإسلامي.

و لقد كان انتصار العثمانيون على المماليك سريعا و ساحقا و أصبحت القاهرة تحت رحمة الدولة العثمانية منذ سنة 1517 م.[2]

4- مسألة انتقال الخلافة إلى آل عثمان:

بعد أن تم القضاء على المماليك اتجه السلطان سليم الأول إلى مصر و بقي بها شهرا كاملا، حيث قيل أن الخليفة العباسي محمد المتوكل على الله تنازل عن الخلافة لصالح سليم الأول و سلمه مفاتيح الحرمين الشريفين، و لكن الواقع التاريخي يقول أن السلطان سليم الأول أطلق على نفسه لقب «خليفة الله في طول الأرض و عرضها» منذ سنة 1514 م، إلا أن السلطان سليم الأول لم يكن مهتما بلقب الخلافة و كذلك سلاطين آل عثمان من بعده و أن الاهتمام بهذا اللقب يعود إلى فترة ضعف الدولة العثمانية.[3]

إذا فقد كان استيلاء العثمانيين على كل من الشام و مصر يمثل نموا هاما للدولة العثمانية بسيطرتها على إقليمين لهما مقومتهما الاقتصادية و الإستراتيجية و المعنوية بالنسبة للعالم العربي الإسلامي[4]، و كان القضاء على حكم المماليك الذي دام قرنين و نصف من الزمن يعني التوسع العثماني بالمنطقة و الذي شمل شمال إفريقيا. كما وصل العثمانيين إلى

---

(1) : د.أحمد إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 32.
(2) : جرجي زيدان، مصر العثمانية، ت: د محمد حزب،(د.ط)، دار الهلال، الإسكندرية، 1993، ص 86.
(3) : محمد خير خلافة، المرجع السابق، ص 45.
(4) : د.جلال يحيى، المرجع السابق، ص 405.

بلاد الحجاز و ضموا مكة والمدينة المنورة و التي أضفت الشرعية على حكمهم، و أصبح يلقب السلطان العثماني بالخليفة.[1]

كما كانت سيطرة الدولة العثمانية على مصر تعني أنها أصبحت تتحكم في القدس الشريف، و هذا ما دفع ملك اسبانيا سنة 1518 م إلى إرسال سفير إلى السلطان ليخابره بالسماح للمسيحيين بزيارة القدس الشريف و بيت لحم و في مقابل دفع مبلغ من المال كل سنة مقابل ذلك و بالفعل فقد تمت المعاهدة بين الطرفين.[2]

كما قامت البندقية بدفع جزية سنتين للسلطان نظير بقائها بجزيرة قبرص، و رغم أن السلطان سليم الأول اتجه إلى المشرق فهذا لم يمنعه من محاولة الاستيلاء على جزيرة رودس و التي أعد لها أسطولا قويا، و لكن الموت سبقه قبل القيام بالحملة، حيث توفي في 22 سبتمبر 1520م عن عمر يناهز 51 سنة.[3]

و بالرغم من أن موضوعنا كان متعلق بالتوسع العثماني في أوربا إلا أنه وجب علينا التطرق إلى الإنجازات التي قام بها السلطان سليم الأول و التي كانت لها أهمية بالغة فيما بعد، حيث أن هذه الأراضي الجديدة كانت عونا كبيرا للدولة العثمانية فيما يخص توسعها على حساب الأراضي الأوربية، و هذا ما سيظهر جليا عهد السلطان سليمان القانوني، فلقد كانت مصدرا للموارد و الجند و بذلك وحد العالم الإسلامي تحت الراية العثمانية لمواجهة الخطر المسيحي.

---

[1]:Frédéric hitzel, l'empire ottoman, xve- xv111 siécles, sindbal Actes, sud, 1999, p 28.

[2] : د. عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار وحي القلم، بيروت، 2006، ص 59.

[3] : محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 197.

المبحث الثاني: السلطان سليمان القانوني و عودة الفتوح إلى الجبهة الأوربية:

تمهيـد:

إن الحديث عن عهد السلطان سليمان الأول الملقب بالقانوني يعني الحديث عن الدولة العثمانية في أوج قوتها و أقصى اتساع لها في أوربا، حيث عرف هذا السلطان كيف يرجح الكفة لصالحه وحقق ما لم يستطع السلاطين قبله تحقيقه.

تولى سليمان القانوني العرش بعد وفاة والده السلطان سليم الأول، و حكم الدولة مدة 46 سنة وهي أطول مدة حكمها سلطان عثماني، و وصلت الدولة في عهده إلى أعلى درجات الكمال.[1] اشتهر باسم القانوني لأنه وضع نظما داخلية في كافة فروع الحكومة، و كان عهده قمة العهود العثمانية سواء في الحركة الجهادية أو الناحية المعمارية و العلمية و الأدبية و العسكرية، كما كان له تأثير بليغ في السياسة الأوربية[2].

كما نعمت الدولة العثمانية عهد سليمان القانوني بالرخاء والطمأنينة، و كانت أولى أعماله عند تسلمه مقاليد الحكم سن القوانين و الأنظمة التي تكفل قيام الدولة، و قام بتنظيم الجيوش و تقوية أساطيل البحر الأسود و البحر الأبيض المتوسط ، وأول ما واجهه في سنواته الأولى من حكم كان أربع تمردات شغلته عن حركة الجهاد، و لكنه استطاع التغلب عليها.[3]

أول هذه التمردات تمرد حاكم الشام جان برد الغزالي الذي حاول إعادة أمجاد الدولة المملوكية، إلا أن القوات العثمانية تمكنت من مواجهته و إرداءه قتيلا.[4]

أما التمرد الثاني كان على يد أحمد باشا الخائن في مصر الذي كان طامعا في منصب الصدر الأعظم لكن لم يفلح في تحقيق هدفه فطلب من السلطان تعيينه على مصر فقبل بذلك، و ما إن وصل إلى مصر حتى حاول استمالة الناس و أعلن نفسه سلطانا مستقلا إلا أن أهل الشرع و جنود الإنكشارية قاموا ضده وقتلوه.[5]

---

(1) : هدى درويش، المرجع السابق، ص 33.
(2) : محمد خير فلاحة، المرجع السابق، ص 46.
(3) : هدى درويش، المرجع السابق، ص 33.
(4) : محمود شاكر، المرجع السابق، ص 102.
(5) : محمد خير فلاحة، المرجع السابق، ص 46.

أما التمرد الثالث فلقد كان تمردا شيعيا ، و الرابع كان شيعيا علويا إلا أن كل هذه التمردات باءت بالفشل و بعدها هدأت الأحوال في أرجاء الدولة العثمانية.[1]

1- أوضاع أوربا عند اعتلاء السلطان سليمان القانوني الحكم:

كانت الأوضاع الأوربية عند اعتلاء السلطان سليمان الحكم ذات وجهين، أي أن هناك ظروف ساعدته على تحقيق أهدافه في التوسع على حساب البلاد المسيحية، في حين ظهرت ظروف أخرى صعبت من تحقيق طموحاته.

أما عن الظروف المساعدة فلقد كانت تلك الفترة تتسم بانشغال الدول الأوربية بتوسعها فيما وراء البحار أو في عملها على السيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية، في حين كانت الدولة العثمانية تنمو و تتوسع إقليميا في المناطق المجاورة لها، فكانت اسبانيا هي الأخرى منشغلة بالسيطرة على الحوض الغربي للمتوسط أما على أرض القارة فإن كل من فرنسا، اسبانيا، البندقية و الممتلكات البابوية كانت منشغلة بالحروب الإيطالية [2]، أين ظهر في مسرح الأحداث صراع فرنسي اسباني على دوقية ميلان، و كان البابا مشغولا هو الآخر بتعاليم الدين الجديدة للوثر المعادية للكنيسة الكاثوليكية [3].

إذا كانت الظروف مواتية من أجل تحقيق طموحات هذا السلطان، و في المقابل فإن الطريق إلى أوربا أصبح أكثر وعرة عما سبق، فقد ظهرت عوامل جديدة زادت من حدة الصراع مع القوى الصليبية و زادت من قوة تحديها للدولة العثمانية و أهم هذه العوامل:

1- فتح ميادين جديدة للصراع بين المسلمين و المسيحيين بالتفاف البرتغاليين حول الجزيرة العربية و تواجدهم بالمياه الإسلامية.[4]

2- كما أن عهد السلطان سليمان القانوني يمثل عصر النهضة في أوربا التي ظهرت بها مجموعة من العمالقة في العلاقات الدولية ، بل و في بناء الدول و إقامة الإمبراطوريات و نذكر منهم :

* الإمبراطور شارل الخامس إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة و ملك اسبانيا و المستعمرات الواسعة في العالم الجديد.

---

(1) : هدى درويش، المرجع السابق، ص 34.
(2) : د.جلال يحيى، المرجع السابق، ص 421.
(3) : عزت يوسف بك أصاف، المصدر السابق، ص 61.
(4) : د. محمد عبد اللطيف هريري، المرجع السابق، ص 59.

* فرانسوا الأول ملك فرنسا العظيم الذي كان يسعى إلى جعل فرنسا صاحبة الكلمة المسموعة بأوربا.

* كما لا ننسى ذكر هنري الثامن ملك إنجلترا و الذي أدخل إصلاحات جوهرية هيأت انجلترا لدور قيادي عالمي دام ثلاث قرون ونصف.[1]

إذ فرضت هذه العوامل على الدولة العثمانية أن تنازل القوى المسيحية في ثلاث ميادين:

- الخليج العربي و المحيط الهندي و البحر الأحمر.
- شرق و وسط أوربا.
- البحر الأبيض المتوسط و جنوب غربي أوربا.

فكانت تضم هذه القوى أشدها ضراوة، لذا لم يكن من اليسير على السلطان مواجهتها و التغلب عليها حيث كانت تواجهه تارة منفردة و تارة أخرى مجتمعة.[2]

ستجد أوربا بكاملها نفسها في خضم الحرب، فالبندقية و جنوة اللتان يعينهما مباشرة أمر ممتلكتهما القريبة و البعيدة ستضطران إلى الموازنة بين الخصمين، أما فرنسا فإن مصلحتها تفرض عليها أن يكون لها حليف في الشرق لحمايتها من الخطر الإمبراطوري، و كذلك أمراء ألمانيا البروتستانت فإنهم سيكونون متأرجحين بين ميل إلى استغلال ما يفرضه العثمانيين من توازن و بين إعراضهم عن الانتفاع من مساعدة العثمانيين باعتبارهم مسلمين.[3]

على العموم و وفق كل الظروف فإن السلطان سليمان القانوني استطاع التوفيق بين استغلال الظروف المواتية في الإسراع لتنفيذ مخططات الدولة العثمانية بالتوسع على حساب أوربا ومواجهة المصاعب بحنكة و ذكاء كبيرين، إلى درجة أنه أصبح يستغلها لصالحه و هذا سيظهر جليا في فتوحاته و علاقاته الدولية مع القوى المسيحية.

---

(1) : د. عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 129.
(2) : د. محمد عبد اللطيف هريري، المرجع السابق، ص 60.
(3) : د. محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 167 .

المبحث الثالث: فتح بلغراد، رودس و الزحف على المجر على يد السلطان سليمان القانوني:

تمهيد:

كرس سليمان القانوني معظم جهده للقيام بسلسلة من الحروب التي فرضت عليه، في حين ارتبط بعضها الآخر برغبته في استئناف جهود والده الرامية إلى إقامة إمبراطورية عالمية، حيث كان يتمتع السلطان بالبراعة في تجنب الاشتباك في عدة جبهات في آن واحد، فكانت هذه الحملات ترسل في فصل الربيع، باستثناء مرات نادرة كان فيها السلطان سليمان القانوني يبقى بميدان القتال شتاءا، ولقد كانت زمام المبادرة في الحروب بيده باستمرار، لأن أعداءه كانوا يخشونه لعظمته[1].

هذه العظمة وصفها بوسبيك* السفير الإمبراطوري قائلا "إذا سألتني ما هي صفات سليمان كرجل أقول أنه كرجال العهود القديمة، تقاطيع وجهه و هيكل جسمه يحملان طابع العظمة، يليق بالعظمة السياسية التي يتمتع بها." [2]

فبعد أن استقرت أمور الدولة العثمانية الداخلية اتجه السلطان سليمان القانوني إلى التوسع على النحو التالي:

1- فتح مدينة بلغراد:

برزت المجر في أوربا الشرقية كخصم تقليدي للعثمانيين بعد زوال الصرب و البلغار في نهاية القرن 14 م، و زوال الإمبراطورية البيزنطية من قبل حيث شكلت هذه البلاد سورا منيعا ضد التقدم العثماني في أوربا في عهد هونيادي و ابنه ماتياس كورفن.[3]

لكن المجر ضعفت بعد ذلك بفعل بروز قوة الطبقة الأرستقراطية على حساب الملكية و القوى المسلحة و ازدياد الضغط الاقتصادي على الطبقة الزراعية الفقيرة بفرض ضرائب باهظة[4].

---

(1) : أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 89.

* : هو أوجير غيسلين بوسبيك سفير الإمبراطور فرديناند، و قد ألف كتاب عن الدولة العثمانية و نظمها السياسية و العسكرية باللغة اللاتينية و طبع هذا الكتاب في لندن سنة 1633 م.

(2) : برنارد لويس، المصدر السابق، ص 54.

(3) : د. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 167 .

(4) : د.جلال يحيى، المرجع السابق، ص 425.

هذا ما أدى إلى حدوث اضطرابات اجتماعية و اقتصادية نتيجة هذه الخلافات السياسية من جهة ومن جهة أخرى فقد نتج عن اعتلاء عرش المجر ملوك ضعاف إلى درجة عدم استغلال انشغال العثمانيين في فارس و بلاد الشام و مصر للنظر في أحوال مملكتهم و التهيؤ للحرب.[1]

كانت الشرارة الأولى لانطلاق الحرب بين الطرفين هي قيام الملك المجري بقتل رسول السلطان سليمان القانوني الذي أرسله إليه ليطالبه بدفع الجزية مقابل تجديد الصلح.[2] أثار هذا الأمر حفيظة السلطان و أعد العدة لمحاربة المجر، و بدأ في الترتيبات في شتاء 1521 م و بعدها تحرك الجيش العثماني و كان هدفه الحملة مدينة بلغراد المؤدية إلى ما وراء نهر الدانوب و مفتاح أوربا الوسطى و أقوى قلعة للمجر على الحدود العثمانية، إذ كتب لهذه المدينة أن تسقط فتصبح الطريق إلى بودابست و فيينا مفتوحة أمام العثمانيين.[3]

دام حصار بلغراد مدة شهر كامل، و كان أهم ما يميز هذا الحصار هو انضمام طلبة المعاهد الدينية الموجودة في البلقان إلى صفوف المقاتلين طلبا للجهاد، و هذا ما يدل على أن الدولة العثمانية بدأت تجني ثمار جهودها في سبيل نشر الإسلام في أوربا.[4]

بسقوط بلغراد فتحت الطريق أمام العثمانيين إلى الأقاليم الواقعة فيما وراء نهر الدانوب و أضحى الطريق إلى بودابست هو الآخر مفتوحا أمامهم.[5]

2- فتح جزيرة رودس:

لقد كانت جزيرة رودس * مقر قراصنة عرفوا باسم "فرسان القديس يوحنا"* و التي اتخذوا منها قاعدة لأعمال القرصنة البحرية و كانوا شوكة في جنب الدولة العثمانية، مما جعلها تفكر مليا في فتح الجزيرة لموقعها الحيوي، و من ناحية أخرى تأمين التجارة الإسلامية.[6] و التي كانت عرضة لهؤلاء الفرسان الذين قاموا بالاستيلاء على كثير من

---

(1) : د. محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 167 .
(2) : محمود شاكر، المرجع السابق، ص 102.
(3) : د. محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 168.
(4) : د. محمد عبد اللطيف هريري، المرجع السابق، ص 60.
(5) : د. محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 169.
* : رودس: جزيرة تقع بين أوربا ، إفريقيا و اسيا لذلك هي ذات موقع استراتيجي ، يبلغ طولها 77 كلم ومساحتها 1404 كلم^2 و هي جزيرة صخرية معتدلة المناخ، و لقد تغنى بها الشعراء و سموها بالمنيرة الجميلة ووردة كل الجزر.
* : فرسان القديس يوحنا: هي منظمة دينية حربية تأسست ببيت المقدس عام 1070 م، و التي لعبت دور بالغ في الدفاع عن بيت المقدس خلال القرن 12 م و التي صارت وكرا للقراصنة و حصنا منيعا ضد الإسلام، و التي قامت بمساندة الجهود الحربية الصليبية المختلفة في المناطق المجاورة.
(6) : د. محمد عبد اللطيف هريري، المرجع السابق، ص 61.

السفن الإسلامية التي كانت تجلب الحنطة والذهب من الولايات العربية، و تنقل الحجاج إلى الأماكن المقدسة فأصبحت تلك الجزيرة تهدد السلطان و مركزه، لذلك كان عليه فتحها للمرور إلى قلب أوربا.[1]

كما أن هناك جملة من العوامل التي ساعدت الدولة العثمانية على فتح الجزيرة و نذكر أهمها:

- انشغال أوربا بالحرب الكبرى بين فرانسوا الأول و شارل الخامس .
- عقد الصلح بين الدولة العثمانية و البندقية.
- نمو البحرية العثمانية منذ عهد السلطان سليم الأول.[2]

لكن السلطان قبل إرسال الحملة، بعث كتابا إلى قائد الجزيرة يخابره بإخلاء الجزيرة أو الحرب لكن هذا الأخير اثر دفع الجزية، عندئذ لم يجد السلطان سليمان القانوني مناصا من إرسال الحملة.[3] والتي كان قوامها مأتي ألف جندي، و ثلاثمائة سفينة تحمل عشرة آلاف بحار تحت قيادة الصدر الأعظم سيري باشا.[4]

وصلت هذه الحملة و حاصرت الجزيرة بحصار قوي كما تم فتح الجزر الإثني عشر و فتح بودروم آخر أرض مسيحية في الأناضول، و بعد اشتداد الحصار على الجزيرة رغم بسالة أهلها و فرسانها في الدفاع عنها إلا أنها استسلمت في 20 ديسمبر 1522 م ، و دخلها السلطان سليمان بعد أن عقد معاهدة مع أهلها .[5] و التي كانت تنص على:

1- أن يغادر الفرسان الجزيرة بأمان في مدى اثني عشر يوما تاركين خمسين من الرهائن نصفهم من الفرسان، على أن لا يقترب الأسطول العثماني من الجزيرة أكثر من ميل.[6]

2- يخير سكان رودس الأصليين بين البقاء فيكونون من رعايا السلطان و لهم حرية العبادة و إقامة الشعائر الدينية ، و لا تهدم بيوتهم ، و لا يحرم الآباء من أبنائهم.

3- أن لا يفرض على الأهالي الذين آثروا البقاء في الجزيرة الضرائب لمدة 5 سنوات من تاريخ الفتح.[7]

---

(1) : خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني، الفتح العثماني لجزيرة رودس،(د.ط)، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة، 1997، ص 49.

(2) : د. علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض و السقوط، المرجع السابق، ص 344.

(3) : خلف بن دبلان خضر الوذيناني، المرجع السابق، ص 51.

(4) : عزت يوسف بك أصاف، المصدر السابق، ص 61.

(5) : د. عبد الرحيم عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 79.

(6) : د. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 172.

(7) : خلف بن دبلان خضر الوذيناني، المرجع السابق، ص 104.

و بذلك غادر الفرسان إلى جزيرة مالطا و التي اتخذوها وكرا لمحاربة المسلمين، و لكن بفتحها تم تأمين التجارة الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط و بذلك أصبح شرق المتوسط بحيرة آمنة.[1]

3- الزحف العثماني على المجر:

بعد أن استولى السلطان سليمان على بلغراد جعل هذا البندقية تعلن ولاءها للسلطان، في حين أرسل فرانسوا الأول ملك فرنسا سفيرا إلى السلطان سنة 1525 م يطلب منه الزحف على المجر بهدف تشتيت جهد شارل الخامس إمبراطور الإمبراطورية المقدسة من هابسبورغ * ، حيث تملك إمبراطوريته لتشمل ألمانيا ، اسبانيا و ايطاليا و التي كانت تمثل خطرا ضد فرنسا فوافق السلطان على ذلك.[2] لكن قبل ذلك أرسل حملة استولت على عاصمة الأفلاق و اقتيد أميرها إلى اسطنبول ، فأصبحت تعترف بالسيادة العثمانية و تدفع الجزية [3].

في سنة 1526 م بدأ السلطان في الإعداد للحملة و التي كانت مكونة من مئة ألف مقاتل و ثلاثمائة مدفع، و كان السلطان سليمان يعني المدفعية عناية خاصة مثل محمد الفاتح و سليم الأول [4] في حين جهز ملك المجر لويس الثاني جيشه بجمع قوات من بوهيميا و بولندا و من الممتلكات البابوية.[5]

فالتقى الطرفان في موقع موهاتش و فتحت عاصمة المجر بودابست و أصبح العثمانيون يهددون آل هابسبورغ من وراء ظهرهم ، و لقد اكتفى العثمانيون بمنطقة سريم فقط ، و عينوا أمير بلسلفانيا حاكما على البلاد و هو يوحنا زابولي [6].

في حين قتل ملك المجر بموقعه موهاش و عدد من نبلائه و كهنته و عشرين ألف من المجريين في حين أسر العثمانيون مئة ألف مجري و اقتيدوا إلى أسواق النخاسة، و في نهاية

---

(1) : أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 89.

* : آل هابسبورغ: هم حكام النمسا الذين حكموها من سنة 1282 إلى 1918 و أصبح ملوك هذه الأسرة أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة منذ 1438 م ، و لقد بلغت هذه الإمبراطورية غايتها في الاتساع و ضمت معظم أجزاء أوربا الغربية في عهد شارل الخامس الذي كان مقره باسبانيا .

(2) : المرجع نفسه، ص 89.

(3) : محمود شاكر، المرجع السابق، ص 102.

(4) : أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 90.

(5) : د. جلال يحي، المرجع السابق، ص 425.

(6) : د. خليل إينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ت :محمد الأرناؤوط ، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2002، ص 58.

المطاف استولى العثمانيون على المجر التي دامت ولاية عثمانية مدة 140 سنة [1]، و ربما يعود سبب انتصار السلطان سليمان القانوني إلى المدفعية التي استخدمها و التي كانت متفوقة حجما و وزنا من مثيلاتها الأوربية.[2]

على كل حال لم يرضى الأمير فرديناند شقيق الإمبراطور شارل الخامس تعيين زابولي حاكما على المجر، و اعتبر نفسه الوريث الشرعي للملك المجري، و هذا ما دفعه إلى السير على رأس جيش إلى بودابست و استولى على العرش بعد طرد زابولي منها ، ليخرج السلطان سليمان القانوني على رأس حملة إلى بودابست و كان ذلك سنة 1529 م، و هذا ما دفع فرديناند للفرار إلى فيينا.[3]

وهذا الأمر لم يمنع السلطان سليمان القانوني من مطاردته إلى أسوار فيينا و التي حاصرها طويلا لمدة ستة أشهر و أصبح قاب قوسين أو أدنى من فتح المدينة، لكن الذخيرة نفذت منه و هذا ما جعله يتراجع و يعود أدراجه إلى اسطنبول قاضيا بذلك على القوة الوحيدة المناوئة له في وسط أوربا.[4]

إن كانت المحاولة الأولى لفتح فيينا لم تنجح، فهذا لم يمنع السلطان سليمان القانوني من إعداد حملة ضخمة و اتجه نحو فيينا، و حاول استدراج شارل الخامس خارج الأسوار التي كان محتميا بها إلا أنه فشل و أمام هذه الظروف غير الملائمة و نقص التجهيزات العسكرية خاصة المدفعية، و دخول فصل الشتاء، و هذه العوامل مجتمعة جعلت السلطان ينسحب و كان ذلك سنة 1532 م [5].

بعد سبعة أشهر من هذا الانسحاب أرسل شارل الخامس إلى السلطان يطلب الصلح و لقد تم ذلك سنة 1533 م وفق الشروط التالية:

1- تثبيت الحدود العثمانية الألمانية.

2- اعتراف الحكومة العثمانية بفرديناند ملكا على بوهيميا و النمسا و تعتبر اسبانيا خارج معاهدة الصلح.[6]

---

(1) : د. أحمد اسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 64.

(2) : أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 90.

(3) : يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ط1، ت: عدنان محمود سلمان، موسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، 1988، ص 272.

(4) : د. محمد عبد اللطيف هريري، المرجع السابق، ص 61.

(5) : عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، ص 290.

(6) : يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص 276.

رغم هذا الصلح فإن الثقة كانت منعدمة بين الطرفين و كان كل منهما ينتظر الشرارة لاستعداده من جديد للمواجهة، و لقد كان ذلك أمرا حتميا فيما بعد حيث لم يتوقف الصراع فيما بينهما إلى غاية وفاة السلطان سليمان القانوني.

المبحث الرابع: التقارب العثماني الفرنسي و عودة الصراع على المجر مع النمسا:

1- التقارب العثماني الفرنسي:

لقد تطورت العلاقات الدولية عهد سليمان القانوني تطورا ملحوظا إلى درجة التحالف مع فرنسا وهذا يعد تحولا في العلاقات الدولية و العرف الموجود و بخاصة مع اختلاف العقيدة [1]، إلا أن الحقيقة التاريخية تقول أنه لا يمكن للصليبيين أعداء الإسلام أن يتخلى بعضهم عن بعض أمام تحدي القوى لهم، وإن كانوا مختلفين ظاهريا تبعا للمصالح و الأهواء.[2]

على العموم فقد رغب ملك فرنسا فرانسوا الأول التحالف مع العثمانيين كي يحاربوا المجر التابعة للملك شارل الخامس الذي تحيط أملاكه بالدولة الفرنسية من كل جهة، إذا كانت تتبعه اسبانيا هولندا، جنوة، فلورنسا، صقلية، و جزر الباليار و في الوقت نفسه الإمبراطور الألماني.[3]

يعود سبب عقد سليمان القانوني هذه المعاهدة مع فرانسوا الأول إلى استخدام شارل الخامس للقبطان الجنوي أندريه دوريا الذي شرع في بناء أسطول و استدعى فرسان القديس يوحنا بعد طردهم من رودس من أجل القيام بالهجوم على السواحل اليونانية التابعة للدولة العثمانية، فقام السلطان باستدعاء البحار خير الدين بربروس * سنة 1533 م و عينه قائدا عاما للبحرية العثمانية. و الذي استطاع بسط النفوذ العثماني غربي البحر الأبيض المتوسط.[4]

ردا على جهود دوريا تحالف العثمانيون مع فرنسا و تم التوصل إلى المعاهدة المعروفة باسم "الامتيازات الأجنبية" سنة 1535 م ، فالسياسة الخارجية للدولة العثمانية كانت تهدف إلى استمرار العلاقات الخارجية مع دول الغرب و من ثم الاسترسال في التجارة البحرية مع البندقية و جنوة ثم هولندا و الإنجليز و فرنسا باستخدام الطرق البرية التي تصل

---

(1) : د. جلال يحي، المرجع السابق، ص 428.

(2) : د. علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض و السقوط، المرجع السابق، ص 344.

(3) : محمود شاكر، المرجع السابق، ص 103.

* : و هو من أشهر رجال البحر المسلمين الذي أرعب الأوربيين في حوض المتوسط و أصبح يحسب له ألف حساب خاصة بعد إنجاده للفارين من اسبانيا بسبب الاضطهاد وحماية سواحل شمال إفريقيا من الهجمات الإسبانية.

(4) : أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 93.

إلى شمالي أوربا، كما كانت الدولة العثمانية تهدف إلى مساعدة الدول الأوربية ضد بابا روما و آل هابسبورغ في النمسا.[1]

هذه المعاهدة كانت تنص إجمالا على:

1- حرية التنقل و الملاحة في سفن مسلحة و غير مسلحة لرعايا الدولتين في بلاد الطرف الآخر.

2- حق التجارة و المتاجرة لرعايا الدولتين في البلد الآخر على أن تكون الرسوم هي نفسها بين الطرفين، و تدفع الرسوم الجمركية في الدولة العثمانية مرة واحدة.[2]

3- إعفاء التجار الفرنسيون من الخضوع للقانون العثماني و تطبيق القانون الفرنسي عليهم، تحت إشراف ممثل فرنسا في الأستانة.[3]

4- حرية العبادة لرعايا الملك الفرنسي في الأراضي العثمانية.

5- منع استعباد رعايا الملك الفرنسي.[4]

إذا بعد عقد هذه المعاهدة أصبح فرانسوا الأول يلح على السلطان للهجوم الثاني على ايطاليا وفرنسا من الشمال، و الدولة العثمانية جنوبا عن طريق البحر فتأخذ في فرنسا القسم الشمالي وعلى رأسه ميلان و الدولة العثمانية تحصل على الجزر البحرية.[5]

و الحقيقة التاريخية تقول أن الدولة العثمانية كانت راغبة في الاستيلاء على ايطاليا لكنها كانت مترددة خوفا من تحالف جميع الدول الأوربية ضدها، و أمام هذا التحالف مع فرنسا أصبح ممكنا دخول ايطاليا.[6] و فعلا تم استعداد الطرفين لبداية الهجوم فجلب السلطان سليمان القانوني جيشه سنة 1537 م إلى ميناء فلورا بألبانيا حيث قام هناك بحصار موانئ البندقية في ألبانيا و جزيرة كورفو.[7]

لكن أمام هيجان الرأي العام النصراني في أوربا ضد فرنسا و تحالفها مع الدولة العثمانية المسلمة التي تقاتل النمسا النصرانية، و أمام هذا الضغط ما كان أمام الملك الفرنسي

---

(1) : المرجع نفسه، ص 94.
(2) : عبد المنعم هاشمي، المرجع السابق، ص 293.
(3) : أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 95.
(4) : عبد المنعم هاشمي، المرجع السابق، ص 293.
(5) : د.خليل اينالجيك، المصدر السابق، ص 59.
(6) : د. أحمد اسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 65.
(7) : د.خليل اينالجيك، المصدر السابق، ص 59.

إلا الخضوع للرأي الصليبي و هادن ملك النمسا و بذلك أخلف وعده للسلطان سليمان القانوني بالهجوم المزدوج على ايطاليا.[1]

أمام هذا التخاذل الفرنسي انزعج القائد البحري خير الدين باشا و راح يفتح جزر البحر الإيجي وجزيرة كورفو التي كانت تابعة للبندقية كما هاجم سواحل فرنسا، اسبانيا و ايطاليا قبل عودته إلى العاصمة العثمانية ردا على الخيانة [2]، و ما فعله خير الدين جعل الدول الأوربية تشكل تحالف صليبي ضد الدولة العثمانية ، و لكن هذا القائد خير الدين تمكن من تحطيم الأسطول الصليبي وإغراقه في البحر فضلاعن أسر عشرات السفن، فلما دخل على السلطان سليمان القانوني استقبله استقبال الملوك على الإنجاز الذي قام به.[3]

إذا و من خلال هذه الأحداث يظهر لنا جليا أن موقف الدول الأوربية و خاصة فرنسا يثبت أن ملة الكفر واحدة، و أن فكرة محالفة فرنسا للدولة العثمانية كانت غير ذات قيمة، الأمر الذي أدى إلى فشل الامتيازات الأجنبية في مختلف الميادين، فأزمة الثقة كانت قائمة بين الطرفين منذ الحروب الصليبية.[4]

2 - عودة الصراع العثماني النمساوي على المجر:

قبل التطرق إلى الموضوع يجب أن نشير إلى أن السلطان سليمان القانوني استطاع سنة 1540 م أن يضع حدا لأطماع البنادقة في المنطقة، و التي تخلت عن أملاكها في بلاد المورة و في بحر إيجة و التي وافقت على دفع غرامة ضخمة مقابل اعتراف العثمانيين باستمرار حكمها في جزيرتي كريت و قبرص، و بهذا انهارت السيادة البحرية التي كانت تتمتع بها البندقية و لم يبقى منها إلا الحطام.[5]

أما الحديث عن عودة الصراع في المجر فإن جذوره بدأت سنة 1538 م بعد أن اتفق حاكم المجر زابولي مع فرديناند على اقتسام المجر و إنهاء التدخل العثماني بالمنطقة ، و للإيقاع بزابولي أرسل فرديناند نسخة من الاتفاق إلى السلطان سليمان ليعرف بعدم وفاء زابولي و يقصيه من الحكم وعندها سيزيد النفوذ النمساوي بالمجر.[6]

---

(1) : محمد خير فلاحة، المرجع السابق، ص 48.
(2) : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 96.
(3) : إبراهيم بك حليم، المصدر السابق، ص 96.
(4) : د. أحمد اسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 71.
(5) : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 97.
(6) : محمود شاكر ، المرجع السابق، ص 106.

لكن زابولي توفي قبل أن يدفع جزاء خيانته و عندها اغتنم فرديناند الفرصة و هاجم المجر بحملة سريعة و لكنه فر عندما سمع بوصول السلطان العثماني على رأس جيشه إلى المنطقة.[1]

إذا لم تتوقف الحروب على جبهة المجر مع الدولة العثمانية و كذلك المخابرات بين الطرفين للوصول إلى صلح، ففي سنة 1555 م حصلت هدنة بين الطرفين لمدة ستة أشهر و مثلها سنة 1557م[2]. و بقيت هذه الحال على حالها إلى غاية سنة 1664 م أين عقد صلح بين السلطان سليمان و فرديناند و الذي تعهد بدفع ثلاثين ألف دوقية سنويا للسلطان العثماني مقابل المناطق المجرية التي بقيت تحت حكمه مع اعترافه بالحكم العثماني على باقي المناطق.[3]

لكن السلطان لم تتوقف رغبته في فتح أكثر المناطق الممكنة لتوسيع إمبراطوريته فتوجهت أنظاره سنة 1565 م إلى مالطا و التي أعد لها عمارة مؤلفة من مئتي سفينة، و كانت هذه الجزيرة مقر رهبنة القديس يوحنا، و إن الحصول عليها كان يعني للدولة العثمانية توطيد حكمها في الحوض المتوسط و لكن بسبب العواصف البحرية رفع الحصار عنها و عادت السفن خاوية الوفاض.[4] لكن خطف الموت سليمان القانوني سنة 1566 م قبل فتحه هذه الجزيرة قبل حتى أن يخمد التمرد الذي قام من جديد في المجر فتوفي أمام أحد الحصون التي كان يحاصرها.[5]

لقد توفي السلطان سليمان القانوني بعد أن وصلت الدولة في عهده إلى أوج عظمتها و أقصى اتساع لها، ففي أواخر حكمه أصبحت جميع الدول الأوربية تدين بحكمه و تدفع الجزية له، و هذا إذا أثبت شيئا فهو يثبت أن الدولة العثمانية قد استقرت و أخيرا في أوربا.

---

(1) : د.أحمد آق، سعيد أوتورك، الدولة العثمانية المجهولة،(د.ط)، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، 2008، ص 239.
(2) : محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 248.
(3) : د. جلال يحي، المرجع السابق، ص 427.
(4) : محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 249.
(5) : هدى درويش، المرجع السابق، ص 35.

الفصل الرابع: نتائج الفتح العثماني في أوربا و انعكاساته على الأوربيين.

المبحث الأول: نتائج الفتوح العثمانية في أوربا.

المبحث الثاني: سياسة الدولة العثمانية اتجاه ولاياتها المسيحية.

المبحث الثالث: محاولة الدولة العثمانية نشر الإسلام في أوربا.

المبحث الأول: نتائج الفتوح العثمانية في أوربا:

في هذه المرحلة وصلت الدولة العثمانية أو بوصف آخر الإمبراطورية إلى أقصى اتساع لها في أوربا. و قد أصبحت قوة عالمية منافسة في المنطقة لأبرز قوة في تلك الفترة، و نقصد بالحديث إمبراطورية شارل الخامس التي كانت تستحوذ على القسم الغربي من أوربا و أصبحت حدود هاتين الدولتين متاخمتين لبعضها، و هذا إن دل على شيء فهو يدل و بكل تأكيد على أن الدولة العثمانية قد برزت كقوة أوربية عظيمة، بعدما كانت مجرد إمارة آسيوية في منطقة الأناضول والتي كانت لا تمثل شيء في ميزان القوى.

إلا أن فتوحاتها العظيمة في أوربا خلفت نتائج سهلة انعكست إيجابا على الدولة العثمانية و على العالم الإسلامي ككل، فقد كانت هذه الإمبراطورية تحمل لواء الإسلام في أوربا، و من أبرز النتائج المترتبة على عملية الفتوحات نذكر أهمها:

1- توسيع رقعة الأرض الإسلامية، و يكفي أن نذكر الفتح العظيم للقسطنطينية و التقدم إلى قلب أوربا وصولا إلى مناطق لم تطأها أقدام المسلمين من قبل، حيث عجز المسلمون و لمدة ثمانية قرون من الزمن دخول القسطنطينية البوابة الشرقية لأوربا ، وصولا إلى فيينا و حصارها عدة مرات [1]، فكان تاريخ سقوط القسطنطينية على يد المسلمين يمثل نهاية العصور الوسطى لدى الأوربيين و بداية العصر الحديث و الذي اقترن بهذا الحدث الكبير.

2- أما فيما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية فإن هذه التقاليد أبرزت كيف كانت الدول الأوربية تنظر إلى الدولة العثمانية بأعين الهيبة و الوقار، و كان من أهم هذه التقاليد صيغة المراسلات الدبلوماسية، حيث أجمع ملوك أوربا على تلقيب السلاطين العثمانيين و هم في أوج قوتهم بالسيد الأعظم، في حين لم يستخدم هؤلاء السلاطين مثل هذه الألقاب مع ملوك أوربا، كما أصبح للدولة العثمانية دورها المؤثر على العلاقات بين الدول الأوربية الكبرى، و التي أضحت عاملا أساسيا في توازن القوى.[2]

في حين استقوت بعض الدول الأوربية بالدولة العثمانية و نضرب مثالا عن ذلك فرنسا التي استنجدت بالسلطان سليمان القانوني عهد فرانسوا الأول للوقوف في وجه أطماع شارل الخامس الذي كان يحاول الحصول على عرش أوربا، و إن دل هذا الاستنجاد على شيء فهو

---

(1) : محمود شاكر، المرجع السابق، ص 26، 27.

(2) : نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي العصر العثماني، ج2، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996، ص 21.

يدل على أن الدولة العثمانية أصبح يحسب لها ألف حساب في رسم خريطة أوربا و تقسيم أراضيها بين ملوك أوربا.[1]

3- كما نذكر نقطة ثالثة هامة و التي كانت هي الأخرى نتيجة للتوسع العثماني في أوربا، فلأول مرة و في فترة القرون الوسطى أصبحت الدول الأوربية تبحث عن التكتل و الوحدة من أجل مواجهة الدولة العثمانية، و هذا بعد تلك الحروب الشرسة و التي قامت بين ملوك أوربا و لمدة قرون من الزمن من أجل السيادة، و التي قسمت أوربا إلى مجرد إقطاعات لا وجود لسيادة ملكية بها.[2]

إذا فبعد إحساس الدول الأوربية بالخطر اتجهت نحو توحيد صفوفها لمواجهة الدولة العثمانية متحدة لمنع زحفها السريع على أراضي أوربا و جعلها مجرد ولايات عثمانية موالية تدفع الجزية للمحافظة على كيانها.[3]

4- كما لا يجب أن نغفل نقطة حساسة و هامة جدا و هي تلك الجهود التي بذلتها الدولة العثمانية لمحاولة نشر الدين الإسلامي في البلاد الأوربية المفتوحة المسيحية و إن حققت نتائج ضئيلة، إلا أنها نشرت الإسلام في عديد من المناطق و يكفي أن نذكر منها البوسنة، ألبانيا، الجبل الأسود وغيرها .[4]

5- كما كان للعثمانيين دورا هاما في أوربا إذ قضوا على نظام الإقطاع، و أنهوا مرحلة العبودية التي كانت تعيشها أوربا، أين يولد الفلاح عبدا و ينشأ كذلك و يقضي حياته في عبودية سيده مالك الأرض، كما اهتم السلاطين بتقديم العطايا و الصدقات للمواطنين، و بذلك أصبح النظام العثماني نظام يحتذي به من طرف الدول الأوربية التي نخرتها الحروب الإقطاعية.[5]

6- كما أن فتح القسطنطينية يمثل القضاء على الكيان الصليبي ألا و هو الدولة البيزنطية و التي قادت مدة من الزمن الحروب الصليبية ضد المسلمين، و تمكنت في أحد الفترات من سلب البلاد العربية الإسلامية من أهلها كبلاد الشام فوقف المسلمين موقف المدافع ضد هذه

---

(1) : المرجع نفسه، ص 22.

(2) : د. عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي و الأمريكي الحديث، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1922، ص 62.

(3) : المرجع نفسه، ص 62.

(4) : محمود شاكر، المرجع السابق، ص 30.

(5) : جفري برون، تاريخ أوربا الحديث، ت علي المرزوقي، ط1، دار الأهلية، الأردن، 2006، ص 540.

الإمبراطورية المسيحية والتي أرهقت المسلمين بالحروب، فقد عنى القضاء عليها عودة الطمأنينة و السلام في نفوس المسلمين في مختلف البلاد الإسلامية.[1]

7- كما أن التوسع العثماني في أوربا كان يعني القضاء على مظالم السادة الذين كانوا يزجون الناس في السجون دون سبب، فعند الفتح الإسلامي كان يطلق سراح المظلومين، كما رفعت عن أكتاف الفلاحين الضرائب التعسفية التي كانت تفرض فوق طاقتهم، كما كان الفتح الإسلامي يعني المساواة بين الجميع في الحقوق و الواجبات و على العموم فإن عدالة هذه الدولة و سماحتها أصبحت تمثل المهرب لسكان أوربا من ظلم ملوكها و هذا نابع عن إتباعها شريعة الحبيب المصطفى صلى الله عليه و سلم.[2]

رغم كل هذه النتائج المبهرة التي حققتها الدولة العثمانية في أوربا إلا أن هناك نقطة سوداء إن صح التعبير في تاريخها و المتمثلة في عدم نجدة أهل الأندلس المسلمين بعد سقوط غرناطة. فقد تعرض المسلمون في الأندلس إلى اضطهاد ديني مقيت و الذي فرض ضد المورسكيين، رغم قوة الدولة العثمانية في هذه الفترة.[3] فظلت هذه القضية مطروحة و لمدة طويلة كانت مادة للجدال بين اتهام الدولة العثمانية بالتخاذل عن نصرة مسلمي الأندلس و منع طردهم، و بين وضع مبررات لموقف الدولة العثمانية ، حيث اقتصر رد الفعل العثماني على مطالبة فرنسا بأن تنقل على سفنها الأندلسيين المهاجرين و بذلك فقد الأندلسيين نصرة أقوى الدول الإسلامية في ذلك الوقت.[4]

رغم هذا التخاذل المؤسف للعثمانيين في مساندة إخوانهم المسلمين في الأندلس، إلا أنهم حققوا ما لم تستطع دولة إسلامية قبلهم تحقيقه، و تغير موقف المسلمين بذلك و بعده فترة لا بأس بها من موقف المدافع في فترة الحروب الصليبية إلى موقف المهاجم و الفاتح لمختلف الأمصار المسيحية التي كانت و لعقود طويلة تمثل مصدر إزعاج للمسلمين تتحول إما إلى بلاد إسلامية أو ولايات خاضعة للسلطة العثمانية و التي كانت في ظلها العالم الإسلامي في فترة أمن و سلام دامت لعدة عقود.

---

(1) : جفري برون، المرجع السابق، ص 541.
(2) : محمود شاكر، المرجع السابق، ص 34.
(3) : نادية محمود مصطفى، المرجع السابق، ص 47.
(4) : المرجع نفسه، ص 48.

المبحث الثاني: سياسة الدولة العثمانية اتجاه ولاياتها المسيحية:

ليس من الصعب تفسير السهولة النسبية التي لازمت الفتوحات العثمانية ، فلقد تزامن هذا الفتح مع التشرذم السياسي في المنطقة حيث كان الحكام المحليون من ملوك و أمراء الكيانات البلقانية وسواها يتطلعون دوما إلى طلب المساعدة من الخارج لحل النزاعات الداخلية. كما أن حكام و ملوك أوربا بدأوا يتقبلون السيادة العثمانية الواحد تلوى الآخر، و هذا بعد فشل تنظيم حملة صليبية تسحق الدولة العثمانية.[1]

على العموم فإذا دققنا في سياسة الدولة العثمانية اتجاه الرعايا المسيحيين، فنجدها قد عاملت رعاياها الذين يدينون بغير دينها بالتسامح و التساهل و الاعتدال، فقد اتبعت في ذلك أوامر الشرع وتركت للمسيحيين حرية دياناتهم و عاداتهم و تقاليدهم.[2]

أما فيما يخص الحكم الداخلي للولايات المسيحية فلقد تركت لهم حرية الحكم الذاتي و لكن وفق شرطين هما:

- أن يدفعوا الجزية المطلوبة.
- أن يحترموا قوانين الدولة مع احترامهم سيادة المسلمين و أن لا يظهروا أي احتقار أو عداء.[3]

كما ضمنت الدولة لهم أمن الأحياء و الممتلكات و حقوقهم الدينية و كان مجيء الدولة العثمانية إلى شرق أوربا يعني تحسن الأوضاع المعيشية و امتداد الطرق التجارية بينها و بين اسطنبول.[4]

أما عن الأنظمة التي اتبعتها الدولة العثمانية في هذه الولايات أي الأوربية، نجد نظام الملل و الذي يقوم على تصنيف رعايا الدولة غير المسلمين، تصنيف على أساس المذهب الديني و يطلق على كل مذهب ملة و التي يكون لها رئيس ديني ينظر في المسائل الدينية، حيث كان لهذه الملل منظمات خاصة مثل المنظمات التعليمية الدينية و الاجتماعية.

إن الدولة العثمانية استوعبت داخلها كل هذه الملل و الأجناس، وفي ذلك دلالة واضحة على ما تمتع به المسلمون من السماحة الدينية و لين الجانب، و هذا ما شجع الكثير

---

(1) : وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 47.
(2) : مصطفى كامل، المسالة الشرقية، ط1، مطبعة الآداب، مصر، 1898، ص 6.
(3) : فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوربا، جامعة أم القرى، مكة، 1989، ص 73.
(4) : المرجع نفسه، ص 73.

من الأهالي في البلاد المفتوحة على الانخراط في ظل هذه الدولة العثمانية و التمتع بالمزايا الرفيعة العالية التي لم يحظوا بها في ظل أي حكومة نصرانية.[1]

على أي حال إذا أردنا إجازة العناصر الأوربية المسيحية التي كانت تدين بالولاء للدولة العثمانية فإننا نذكر المجريون الكاثوليك، و هم يمثلون أكبر قسم من رعايا الإمبراطورية الكاثوليك من كرواتيا و سلوفانيا و قسم من الألبان و اليونانيين، إضافة إلى قسم من الأرثودكس و البروتستانت، المذهب الذي ظهر عهد سليمان القانوني على يد مارتن لوثر الذي طالب بإصلاح الكنيسة، فقد حافظت الدولة العثمانية على جميع الأديان بها و المذاهب و عدم وضع أي تحديدات على عبادات أية ملة من الملل.[2]

كذلك من بين النظم العثمانية في الأقاليم الأوربية نذكر منها نظام التيمار* ، فقد كانت الدولة العثمانية بعد فتح البلقان تترك إدارة الأراضي للمزارعين، على أن يقوموا بإعداد عدد معروف من الجنود يلحقون بالجيش العثماني و كان هؤلاء المزارعين من أسر نبيلة، أو من الأمراء المعروفين بشخصيتهم و استقلالهم.[3]

لقد استطاع العثمانيون بفضل هذا النظام من التخلص من حكم الأمراء تماما، و ضموا الأراضي المفتوحة إلى دولتهم و من القيادة المباشرة تولد نظام التيمار في الأراضي المفتوحة، و وفق هذا النظام وجدت الدولة العثمانية طبقة موالية تساعد وقت الحرب بالجنود، و في السلم بالمحافظة على الحدود.[4]

لكن من سلبيات السياسة العثمانية اتجاه الولايات الأوربية أنها لم تحاول عثمنة هذه الشعوب التي دانت لها أو ربطها بالحضارة الإسلامية، و يعود سبب هذه السلبية إلى :

- سطحية الحكم العثماني بحيث مارست الدولة نفوذها في نطاق ضيق .
- الاستعلاء و الذي كان سمة بارزة لدى السلاطين العثمانيين، كما اشترك الشعب التركي في ذلك فكان السلاطين و الشعب على حد سواء.[5]

---

(1) : فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، المرجع السابق، ص 74، 75.

(2) : يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، ت :عدنان محمود سلمان، ط1،مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول،1988،ص 466.

* : التيمار: كلمة فارسية معناها كل ما يعطي للمريض أو الحيوان أو حتى للأرض و النبات من مؤونة و عناية، و أطلق هذا اللفظ على الأراضي العثمانية التي كانت تعطى للجنود و الفرسان ليعيشوا منها.

(3) : فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، المرجع السابق، ص 76.

(4) : المرجع نفسه، ص 77.

(5) : د. عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1 ،(د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004، ص 67.

فلقد احتفظت هذه الشعوب بثقافتها و لغتها و سماتها الحضارية و هذا يعود إلى أن الدولة لم تتدخل في ثقافة الشعوب إلا في نطاق أضيق، مهمة الدولة كانت تكمن في الدفاع عن الولاية و الحفاظ على الأمن الداخلي، و جمع الضرائب و الفصل بين الخصومات، أما ما هو خارج هذه المهام فهو مسؤولية السكان المحليين.[1]في هذا الصدد يذكر المؤرخ الإنجليزي فيشر في وصفه للعثمانيين فيقول" إن العثمانيين لم يقيموا للحضارة الأوربية وزن، و لم يدركوا قيمتها في يوم من الأيام ، و لذا عاش العثماني غريبا أجنبيا في أوربا لا نصيب له من تقاليدها، و لا يتعدى تفكيره في لزوميات الحكم الإمبراطوري مبادئ الأوليجاركية، أي حكومة الأقلية الإستئثارية، و هي المبادئ التي تعتمد على الرقيق و تنظر إلى البشرية المحيطة بها كأنها لا تصلح إلا للاسترقاق و العبودية و التبعية."

الحق أن الوجود العثماني في أوربا قد عجز أن ينبت جذورا تمده بالعناصر التي تحفظ عليه حياته. فبعد السقوط العثماني و الانهيار مضت الحياة الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية في البلاد الأوربية التي دانت لحكم العثمانيين في مسارها العادي دون أن يشعر الشعب الأوربي بزوال هذا السيد التركي المسلم الوافد عليها.[2]

في حين نظرت الدول الأوربية إلى الفتوح العثمانية على أنها فتوح إسلامية، و كان الأتراك العثمانيون في تقدير أوربا هم الرمز الحي المجسد للإسلام، و اختلط الأمر على الأمر على الأوربيين في ذلك الوقت، فكانوا يطلقون على المسلم لفظ تركي، و خلطوا بين العرب و الأتراك و كان هذا الخلط نتيجة طبيعية، فقد كانت الفتوح العثمانية في أوربا فتوح إسلامية.[3]

على أية حال نادرا ما كان العثمانيون استعباديين طغاة رغم قسوتهم، إذا ما قارناهم بأوربا المعاصرة، حيث كان الهوس الديني و التعصب المذهبي، بينما كان الرعايا العثمانيين في أوربا يتمتعون بأقصى درجات التسامح الديني، عكس ما أشيع على العثمانيين على أنهم غزاة سفاحين متعطشين للدماء، و ما كان هذا إلا دعاية مغرضة التي سادت يوم كانت الروح الصليبية هي الغالبة و كان الهابسبورغ و بابوات روما هم عصب هذه الدعاية.[4]

---

(1) : د. ميمونة حمزة المنصور، المرجع السابق، ص 50.
(2) : د. عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 255.
(3) : أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 157.
(4) : كولزبول، العثمانيون في أوربا، ت عبد الرحمان عبد الله الشيخ (د، ط) ، القاهرة، 1993، ص 160.

المبحث الثالث: محاولة الدولة العثمانية نشر الإسلام في أوربا:

تمهيد:

لقد عرفت أوربا الدين الإسلامي و لأول مرة عن طريق التجار المسلمين الذين عرّفوا برحلاتهم التجارية في مختلف أنحاء العالم، و بفضل التجار المسلمين و توغلهم في تلك البلاد و استقرار البعض بها كان له تأثير في دخول المسيحيين إلى الإسلام ، إضافة إلى نقل التجار المسلمين الإسلام إلى أوربا، نجد أن القبائل التترية المسلمة و التي وصلت إلى شرق أوربا و استقرت هناك فكان لها أثر في نشر الإسلام بين السكان الأصليين.[1]

إذا فقد عرف الأوربيين الدين الإسلامي قبل الفتح العثماني للمنطقة، و لكن في هذه المرحلة كان نشر الدين الإسلامي بأوربا أكثر تنظيما و فاعلية عن المراحل التي سبقتها. فلم تكد القسطنطينية تسقط في أيدي العثمانيين سنة 1453 م حتى توطدت العلاقات بين الدولة العثمانية و الكنيسة المسيحية بصفة قاطعة، و على أساس ثابت، و من أول الخطوات التي اتبعها السلطان محمد الفاتح بعد فتحه القسطنطينية و إعادة إقرار النظام بها أن يضمن ولاء المسيحيين من أجل استمالتهم للدخول إلى الدين الإسلامي.[2] فأعلن نفسه حامي الكنيسة و حرم اضطهاد المسيحيين تحريما قاطعا، و منح البطريرك حناديوس مرسوما يضمن له و لإتباعه حق التمتع بالامتيازات القديمة و الموارد و الهبات التي كانوا يتمتعون بها من قبل.[3]

1- الأساليب التي اتبعها العثمانيون لنشر الإسلام:

من بين الأساليب التي اتبعها العثمانيون من أجل استمالة أكبر عدد ممكن من المسيحيين إلى الدين الإسلامي نذكر:

- اهتمام السلاطين ببناء المساجد، و المعاهد الدينية في البلقان، فعلى سبيل المثال ففي عهد السلطان سليمان القانوني قام ببناء 82 جامعا كبيرا و 50 مسجدا صغيرا و 55 مدرسة و 7 معاهد لتحفيظ القرآن الكريم، و كان كل ذلك في الشرق الأوربي و الذي كان يهدف إلى نشر الإسلام.[4]

---

(1) : فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، المرجع السابق، ص 42، 44.
(2) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 232.
(3) : المرجع نفسه، ص 232.
(4) : فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، المرجع السابق، ص 57.

- علاوة على ذلك كان هناك مظاهر أخرى للاستمالة التي اتبعها العثمانيون تتمثل في حمايتهم لكنائس الأرثودكس و أديرتهم و إعلان العفو عن بعض الضرائب التي كانت مفروضة عليهم، أو العفو عنها كلها في بعض الأحيان و إبقائهم على الأوقاف الدينية في تلك المناطق كما هي.

- ذلك بالإضافة إلى إلغاء الامتيازات الخاصة بالطبقة العسكرية الإقطاعية، و هكذا نجح العثمانيون في استمالة القرويين و الكنيسة و الطبقة العسكرية التي كانت موجودة بالبـــلاد المفتوحـــة، حيث وطدت هذه الامتيازات أقدامهم و يسرت عليهم القيام بغزوات جديدة بالمنطقة.[1]

- كما كان للجيش الإنكشاري دور عظيم في نشر الدين الإسلامي فلقد شهدت العقود الأولى دخول عدد كبير من البيزنطيين و الأرناؤوط و السلاف في الإسلام، و قد حرص العثمانيون على معاملة هؤلاء المسلمين الجدد معاملة حسنة.[2]

رحب العثمانيون منذ الوهلة الأولى بكل من دخل في الدين الإسلامي فيلتحق ببلاط الدولة و جيشها، كما كان يمنح حق المواطنة الكاملة، فقد كانت إحدى الأسر الأربع الأولى التي تمثل الأرستقراطية العسكرية العثمانية أسرة ميخائل أوغلو و التي تتحدر من أصل بوناني. ليس هنالك من شك من أن الوضع الاجتماعي و الاقتصادي للعثمانيين قد أغرى رعاياهم لاعتناق الدين الإسلامي، إلا أن هذه الأقليات التي اعتنقت الإسلام و كما ذكرنا سابقا فقد احتفظت بلغتها و أصولها، فهي لم تنصهر في المجتمع العثماني عكس ما حدث مع سكان آسيا الصغرى.[3]

حيث سار الأتراك العثمانيون في نشرهم للإسلام بين الشعوب المسيحية على ما نصت عليه الآية "لا إكراه في الدين" فهم لم يكرهوا أحدا من الشعوب على اعتناق الإسلام إكراها، بل تركوا الحرية لمن أراد البقاء على دينه.[4]

---

(1) : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 234.

(2) : فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، المرجع السابق، ص 58.

(3) : كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ت :نبيه أمين فارس، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 487، 488.

(4) : فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، المرجع السابق، ص 89.

من بين أبرز الشعوب الأوربية التي انتشر الإسلام بين سكانها نذكر:

* ألبانيا: كان الانتشار بها بطيء، إلا أنه حقق نتائج لا بأس بها و عان ذلك على يد سكان البلاد أنفسهم.

* صربيا: أي تحول جزء كبير من الأمراء الإقطاعيين إلى الدين الإسلامي، لكن السواد الأعظم من السكان احتفظوا بدينهم.

* البوسنة و الهرسك: لقد كان انتشار الإسلام بهاتين المنطقتين كبيرا إذا ما قورن بباقي المناطق.[1]

إذ أن هناك تعليق لأحد الرهبان الأرثودكس بالهرسك سنة 1509م، و فيه ذكر أن عددا كبيرا من السكان اعتنقوا الإسلام عن رضا و قبول، أما شمال البوسنة لم ينشر بها الإسلام إلا تواكبا مع التوسع على حساب المجر و ما أن اكتمل الفتح حتى انتشر الإسلام

2- مدى نجاح العثمانيين في نشر الإسلام:

رغم المساعي التي عملت الدولة العثمانية عليها كثيرا لنشر الإسلام في أوربا إلا أنه يمكننا القول أن الدولة العثمانية لم تنجح نجاحا كليا في نشر الإسلاميين بين جميع رعاياها المسيحيين لأسباب خارجة عن إرادتها، و لكن هذا النجاح المحدود الذي حققته الدولة في مجال الدعوة الإسلامية كان من حيث نتائجه و آثاره أكثر بكثير من نجاح الدولة في فتوحاتها العسكرية و في عثمنة الشعوب المسيحية الأوربية التي دانت لحكمها.[2]

حيث يمكن أن نرجع سبب عدم تمكن الدولة العثمانية من النجاح الساحق في نشر الدين الإسلامي هو سياستها السلبية اتجاه هذه الشعوب فلم تحاول عثمنتها و ذلك راجع إلى نبرة الاستعلاء التي كان يتمتع بها العثمانيون، فقد أثر ذلك سلبا في وضع حاجز بين الشعبين، و هذا لم يسمح بتقرب الأوربيين من العثمانيين و الذي كان من الممكن أن يساهم في نشر الإسلام لكن لم يحدث ذلك التزاوج و التمازج بين الطرفين.

---

[1] : د. محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 240.

[2] : د. عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 39، 40.

خاتمة

الخاتمة:

من خلال ما تناولناه سابقا عن الدولة العثمانية و عن دورها الريادي في أوربا ، و من خلال تلك الفتوح المظفرة التي هزت أصقاع العالم، نجد أن الدولة العثمانية هي أول دولة إسلامية تمكنت من ولوج أوربا الشرقية و بالتحديد الإطاحة بالدولة البيزنطية، رغم محاولات العرب المسلمين قبلا دخول القسطنطينية منارة و حامية الشرق الأوربي، إلا أنهم لم يتمكنوا بأي شكل من الأشكال تخطي هذه الحدود التي بقيت و لعدة قرون تفصل بين العالمين الإسلامي و المسيحي.

إن ما قام به العثمانيين من فتوحات في أوربا وصولا إلى أسوار فيينا و حصارها العديد من المرات جعل العالم الإسلامي بجميع أطيافه يهلل لهذه الانتصارات الساحقة التي حققها العثمانيون راسمين بذلك خريطة جديدة سواء للعالم الإسلامي أو المسيحي. فقد كان العالم الإسلامي بحاجة إلى هذه الصحوة من اجل حمل راية الإسلام من جديد في أصقاع العالم.

بعدما كان المسلمون يقفون موقف المدافع على كيانهم بالبلاد العربية ضد الحملات الصليبية المغتصبة والتي كان هدفها اقتطاع اكبر جزء ممكن من الأراضي الإسلامية، والتي قادها الأوربيون المتعصبون الحاقدون للإسلام و المسلمين، فهاهي الموازين تنقلب فأصبح المغلوب هو الغالب و قام المسلمون يفتحون القلاع الأوربية واحدة تلوى الأخرى، فأصبح بذلك المسلمون وبفضل من العثمانيين في أوج القوة و العظمة وأعادوا الأمجاد الغابرة التي اندثرت مع مرور الوقت، فدان بذلك كل ملوك أوربا للحكام المسلمين الجدد و قاموا لهم تبجيلا ليس حبا فيهم و لكن خوفا وجزعا خاصة بعد سقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية التي قامت و لمدة طويلة بحماية العالم المسيحي .

إن خوف العالم الأوربي من العثمانيين الفاتحين هذا لا يعني أنهم كانوا ظالمين متغطرسين في الأرض المفتوحة بل تميزوا بالسماحة و العدل وهذا ما أثبتته صفحات التاريخ الحديث التي تحدثت بين سطورها عن البلاد الأوربية التي دخلها العثمانيون المسلمون أين ساد الأمن و السلام بها، وأزيحت عن أكتاف أهلها الضرائب المرهقة التي كانت تفرض لسبب أو لغير سبب و أجتمع أهل البلاد حول حكومة واحدة ، بعد أن كانت أوربا مجرد شتات من الإقطاعيات التي مزقتها الحروب التي كان يقودها النبلاء الإقطاعيين،

و كذلك دخول عدد من الرعايا المسيحيين في الدين الإسلامي لا ابلغ دليل على سماحة العثمانيين و عدلهم و دورهم العظيم في تنظيم البلاد بعد فوضة دامت عدة قرون.

فعندما دخل العثمانيون إلى البلاد المفتوحة نجدهم قد اتبعوا الشريعة الإسلامية فلم يظلموا و لم يقاتلوا إلا من قاتلهم، و إن النظرة المتأنية تبين بجلاء و وضوح مدى حرص الشريعة الإسلامية و حرص قادة المسلمين على احترام إنسانية الخصم مقاتلا أو أسيرا أو حتى مدنيا أعزل. و من هنا نجد أن قوة العثمانيين نابعة من إتباعهم لشرع الله و سنة حبيبه المصطفى، فهذا ما مكنهم من فتح بلاد أهلها اشد كرها للمسلمين و هذا ما شابه الفتوح في عهدها الأول اي عهد الرسول(ص) واصحابه الكرام ، ذلك ما اغفله الخلفاء العباسيين الأواخر اللذين توجهوا إلى ملذات الحياة و أهواءها متناسين تعاليم الله عزّوجّل القاضية بالجهاد في سبيل الله لكن حدث العكس فبدلا من اتساع بلاد الإسلام أخذت في الانكماش و الانقسام إلى دويلات متصارعة و متناحرة. لكن بفضل الصراع العثماني الأوربي جعل العالم الإسلامي يتوحد من جديد تحت راية العثمانيين.

بعد أن أصبحت الدولة العثمانية قوة عالمية لم تكن تمثل آمال و مطامح الأتراك العثمانيين فقط بل كانت تمثل أمال كل المسلمين في أقطار العالم الذين أصبحوا ينظرون إلى السلطان العثماني على أنه خليفة للمسلمين.

كنتيجة فلقد حطمت الإمبراطورية العثمانية كل المقاييس في سلم قيام الدول فمن قبيلة مرتحلة اعتنقت الإسلام حديثا إلى دولة مترامية الأطراف انتشلت العالم الإسلامي من الضياع و الشتات ليعود إلى الريادة كسابق عهده.

الملاحق

د. شوقي أبو خليل،أطلس التاريخ العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص 105.

فتوح السلطان محمد الفاتح في أوربا بعد سنة 1453.

أحمد الشجاع، مسيرة الفتح العثماني في أوربا، نشر الكتروني، 2012.

١١٤

د. شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 114.

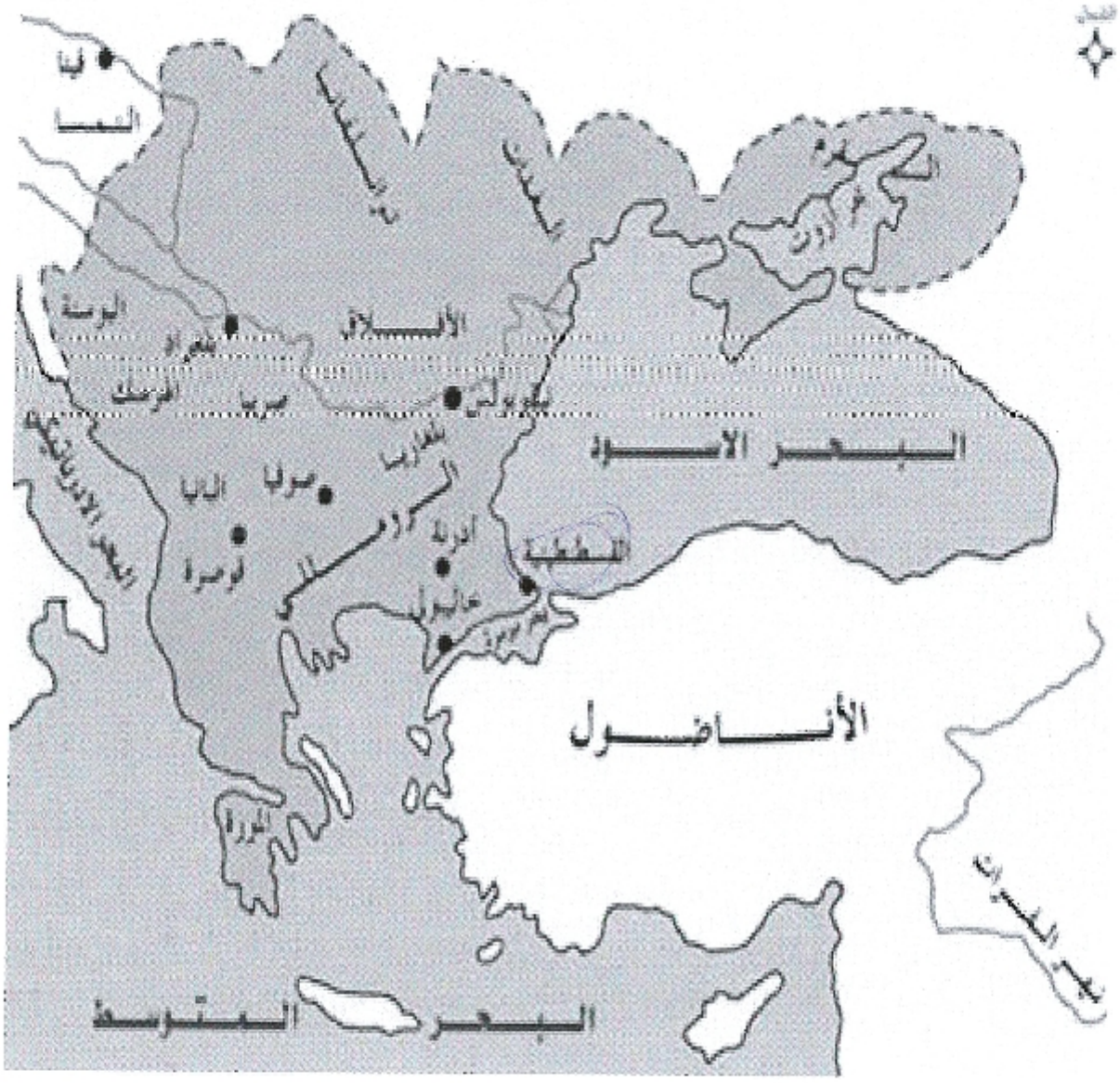

الدولة العثمانية في أقصى اتساع لها في أوربا

أحمد الشجاع، المرجع السابق.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

1- إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.

2- السير هاملتون جيب،هارولد بوين،المجتمع الإسلامي، ج1،ت:عبد المجيد حسين القيسي، ط1، دار المدار، بيروت، 1997 .

3- برنارد لويس، اسطنبول و حضارة الخلافة الإسلامية، ت:د.سيد رضوان علي، ط2 ، دار السعودية للنشر و التوزيع، السعودية،1982 .

4- د.خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ت:م.ارناؤوط، ط1،دار المدار الإسلامي، لبنان،2002.

5- كارل بروكلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية، ت:نبية أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت،1968.

6- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ت:د.احسان حقي،ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.

7- نيقولا باربارو،الفتح الإسلامي للقسطنطينية، يوميات الحصار العثماني 1453م ، ت: د. حاتم عبد الرحمان الطحاوي،ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر، 2002 .

8- عزت يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، ت:محمد زينهم، ط1، مكتبة مديولي،القاهرة،1995.

9- يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية،ج1، ت:عدنان محمد سلمان،ط1، مؤسسة فيصل للتمويل،اسطنبول،1988.

10- يلماز اوزتونا،تاريخ الدولة العثمانية،ج2، ت: عدنان محمد سلمان،ط1، مؤسسة فيصل للتمويل،اسطنبول،1988.

11- المؤلف مجهول،التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية،المكتبة العمومية، بيروت،1887

المصادر الأجنبية:

- C .W.C. Oman, MA.F.S.A, The story of the nations, The Byzantine Empire, T.Fisher unuin, London, 1908.

المراجع العربية:

1- د.إبراهيم خميس إبراهيم، سهيل إبراهيم نعينع، معالم التاريخ البيزنطي السياسي و الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

2- د.احمد آق، سعيد اتورك، الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، اسطنبول، 2008.

3- احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، 1993.

4- د.إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي،ط2، مكتبة العبيكان، 1998.

5- اشرف صالح محمد السيد، أصول التاريخ الأوربي الحديث، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2009.

6- السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

7- الشيخ محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ج1، ط4، مطبعة الاستقامة، مصر، 1354ه.

8- د.الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و الشرق العربي1288-1916م، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

9- جورجي زيدان، مصر العثمانية، ت:د.محمد حرب، دار الهلال، الإسكندرية، 1993.

10- جيفري برون، تاريخ أوربا الحديث، ت:علي المرزوقي، ط1، دار الأهلية، الأردن، 2006.

11- د.جلال يحي، أوربا في العصور الحديثة، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1981.

12- د.حسين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983.

13- د.حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء الإعلام العربي، القاهرة، 1987.

14- د.حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط2، مطبعة الحجازي، القاهرة، 1998.

15- خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني، الفتح العثماني لجزيرة رودس، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة، 1997.

16- د. زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى بيزنطة والسلاجقة الروم والعثمانيون،دار الفكر العربي، دمشق.

17- د. شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر العربي، دمشق.

18- د. شوقي أبو خليل، المعارك الكبرى في التاريخ الإسلامي،(تشالديران)، ط1، دار الفكر العربي، دمشق، 2005.

19- د. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة.

20- د. عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة انجلوالمصرية، القاهرة، 2004.

21- عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العثمانية، ط1، ابن حزم، بيروت، 2004.

22- د. عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار وحي القلم، بيروت، 2006.

23- د. علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و السقوط، ط5، دار المعرفة، بيروت، 2008.

24- د. علي محمد الصلابي، السلطان محمد الفاتح و عوامل النهوض في عصره، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001.

25- د. عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي و الأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.

26- فائقة محمد حمزة عبد الصمد البحري، اثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوربا، جامعة أم القرى، مكة، 1989.

27- كولز بول، العثمانيون في أوربا، ت:عبد الرحمان عبد الله الشيخ، القاهرة، 1993.

28- د. محمد السيد الدغيم، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1994.

29- محمد الطاهر سحري، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ط1، دار المعارف، الجزائر، 2008.

30- محمد خير فلاحة، الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، النشر الالكتروني، 2005.

31- د. محمد سهيل طقوس، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط1، دار النفائس، بيروت، 1995.

32- محمد شاكر، التاريخ الإسلامي العهد العثماني، ج8، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2004.

33 د. محمد عبد اللطيف هريري، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا، ط1، دار الصحوة، القاهرة، 1987.

34- محمد عبد الله عودة و آخرون، مختصر التاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 1989.

35- د. محمود السيد، الدولة العثمانية و حضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004.

36- د. محمود السيد، الفتوحات الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2007.

37- محمود ثابت الشاذلي، المسالة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299-1923م، ط1، مكتب وهبة، القاهرة، 1989.

38- د. محمود محمد الحويري، الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2001.

39- مصطفى أبو ضيف احمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ط4، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986.

40- مصطفى كامل، المسالة الشرقية، ط1، مطبعة الآداب، مصر، 1998.

41- موفق بني مرجه، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني و الخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، 1984.

42- د. ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار حامد، عمان، 2008.

43- نزار قزان، سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الانكشارية، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1996.

44- نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي، العصر العثماني، ج11، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996.
45- هدى درويش، الإسلاميون و تركيا العلمانية، ظ1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1998.
46- وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، الاهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2003.

المراجع الأجنبية:

Frédéric Hitzel, L'empire ottoman, XV-XVIII Siècles, Sind bal, Actes Sud, 1999.

الموسوعات:

1- د. احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية،(الدولة الأموية)، ج2، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984.
2- د. عبد الرحيم عبد الرحمان، موسوعة التاريخ الحديث و المعاصر، دار الفكر العربي، دمشق، 2008.

المقالات:

- أحمد الشجاع، مسيرة الفتح العثماني في أوربا، نشر الكتروني، 2012.

الفهرس

الفهرس:

المقدمة

تمهيد.....01

الفصل الأول: ظروف و عوامل التوسع العثماني في أوربا:

المبحث الأول:مواطن قوة الدولة العثمانية و عوامل نشأتها.....05

1- قوة شخصية السلاطين العثمانيين 05

2- الجيش.....06

3- الأسطول.....07

المبحث الثاني: العوامل التي ساعدت العثمانيين على التوسع.....08

1- العوامل الذاتية (عوامل داخلية).....08

2- العوامل الخارجية.....09

المبحث الثالث: خصائص التوسع العثماني في أوربا.....12

الفصل الثاني: التوسع العثماني في أوربا خلال الفترة 1451م- 1412م:

المبحث الأول:السلطان محمد الثاني 1481م- 1481م واستعداده لفتح القسطنطينية.....15

1- الإعداد لفتح القسطنطينية.....15

2- استنجاد قسطنطين بالدول الأوربية لمواجهة السلطان محمد الثاني.....17

المبحث الثاني: فتح القسطنطينية 1453م.....19

تمهيد.....19

1- الحصار.....20

2- الهجوم.....21

3- الفتح.....22

4- أثار فتح القسطنطينية.....23

المبحث الثالث: جهود محمد الفاتح الحربية في أوربا بعد فتح القسطنطينية.....25

1- فتح بلاد الصرب.....25

2- فتح بلاد المورة (اليونان).....26

3- فتح الأفلاق و البغدان.....27

4- فتح البوسنة و الهرسك.....27
5- فتح ألبانيا.....28
6- النزاع مع البندقية و انتزاع بعض ممتلكاتها.....28
7- فتح جنوب ايطاليا و حصار رودس.....29
المبحث الرابع: السلطان بايزيد الثاني و توقف التوسع في عهده1481م- 1512م.....31
1- أزمة جم.....31
2- فتح الجبل الأسود.....32
3- الصراع مع البندقية.....32
4- ظهور الخطر الصفوي.....33
5- بداية العلاقات الدولية عهد بايزيد الثاني.....33
الفصل الثالث: التوسع العثماني في أوربا خلال الفترة 1512م- 1566م:
المبحث الأول: السلطان سليم الأول و توجهه نحو الشرق 1512م- 1520م.....36
تمهيد.....36
1 - التوجه نحو الشرق.....36
2- الصراع العثماني الصفوي.....38
3- الصراع العثماني المملوكي.....39
4- مسألة انتقال الخلافة الى ال عثمان.....39
المبحث الثاني: السلطان سليمان القانوني و عودة الفتوح الى الجبهة الأوربية.....41
تمهيد.....41
أوضاع أوربا عند اعتلاء السلطان سليمان القانوني الحكم.....42
المبحث الثالث: فتح بلغراد، رودس و الزحف على المجر على يد السلطان سليمان القانوني.....44
تمهيد.....44
1- فتح مدينة بلغراد.....44
2- فتح جزيرة رودس.....45
3- الزحف على المجر.....47

المبحث الرابع: التقارب العثماني الفرنسي و عودة الصراع على المجر مع النمسا.....50

1- التقارب العثماني الفرنسي.....50

2- عودة الصراع العثماني النمساوي على المجر.....52

الفصل الرابع: نتائج الفتح العثماني في أوربا و انعكاساته على الأوربيين

المبحث الأول: نتائج الفتوح العثمانية في أوربا.....55

المبحث الثاني: سياسة الدولة العثمانية اتجاه ولاياتها الأوربية.....58

المبحث الثالث: محاولة الدولة العثمانية نشر الإسلام في أوربا.....61

تمهيد.....61

1- الأساليب التي اتبعها العثمانيون لنشر الإسلام.....61

2- مدى نجاح العثمانيين في نشر الإسلام.....63

الخاتمة.....64

الملاحق.....66

قائمة المصادر و المراجع.....70